مجلة شهرية

Issue No: 95 :عدد
July 2015 تموز

نـــور يسوع المسيح المسيح
ΦΩΣ الـ XPIΣTOY

جمعية نور المسيح ، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

هامتا الرسل بطرس وبولس

الكنيسة الصغيرة
للرسولين
بطرس وبولس
في مطار
إلفثيروس فينيزيلوس
الدولي في اثينا ـ اليونان

αποστολων
πετρου και παυλου,
μικρο εκκλησακι
στο αεροδρομιο
ελευθεριος βενιζελος
στα σπατα

يا متقدّمين في كراسي الرسل
ومعلّمي المسكونة.
تشفّعا الى سيّد الكلّ
ان يمنح المسكونة السّلام
ونفوسنا عظيم الرحمة.

القديس بطرس الرسول

القديس بولس الرسول

محتويات العدد

2	سراج الربّ
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	بركات حياة التأمّل
5	تذكار مولد السابق الأوّل تفسير آباء الكنيسة
7	من أين أتينا وإلى أين نذهب
7	أرض الموعد ومعناها الرمزي
8	محبّة الفقراء للقديس يوحنا الذهبيّ الفم
11	نصائح ثمينة للحياة نصائح الوزير لإبنه
12	عظة في مديح بولس الرسول للقديس يوحنا الذهبيّ الفم
14	التقدمة الشكريّة في القداس الإلهي
14	الترجمة السبعينيّة
15	المدخل لدارسة انجيل متى
18	في الأهواء الثمانية للقديس كسيانوس الرومي
19	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
20	من أقوال الآباء القديسين
22	العظات الثماني عشرة للقديس كيرلس الأورشليمي
23	العهد القديم (٧٩)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي

(الجليل الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

سراج الرب

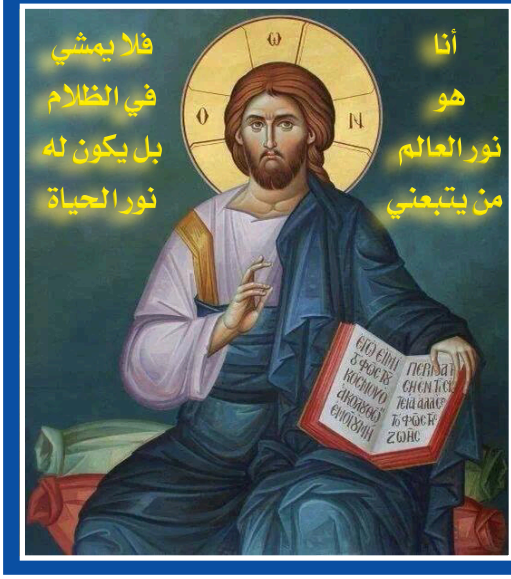

عاش في إحدى البلاد رجلٌ أعمى، وعندما كان يهمُّ أن يخرج ليلاً ليَسيرَ في شوارعها، كان يحملُ مصباحًا مضيئًا .

وكان الناس يتعجبون من ذلك ويتساءلون: لماذا يحملُ مصباحًا يضيء له الطريق مع أنه أعمى لا يرى شيئًا ؟

وذات مرّة تقَدَّمَ اليه أحدهم وسأله:

ـ هل أنتَ ترَى شيئًا ؟

ـ لا .

ـ إذن لماذا تحمل مصباحًا ليضيء لكَ الطريق ؟

ـ لكي لا يصطدم بي كلُّ مَن يراني ؟

إنّ المصباح الذي يضيء طريق حياتنا، هو كلام اللّه المُدَوَّنُ في كتابه المقدّس. «سراجٌ لِرجلي كلامُكَ ونورٌ لِسُبُلي» (١١٨:١٠٥).

لن يستطيع أحد أن يصطدم بكَ في مسيرة الحياة، طالما أنّكَ تحمل **سراج الرَبّ** في يدك.

كلمة اللّه نورٌ يهدينا في مسيرة الحياة، بها نكتشف خداعات إبليس ونرفضها. فيهرب منّا لمقاومتنا له، ولا يستطيع أن يصطدم بنا طالما نرفع في وجهه **سراج الربّ** ، وكلمته المُحيِيَة. كلام اللّه نورٌ يكشف لنا أخطاءنا وأوجاعنا مهما كانت دقيقة ودفينة. لذلك عند قراءة الإنجيل في الكنيسة يحيطه الشمامسة بالشموع إشارة إلى قول المرنّم: «كلمة الربّ مضيئة تنير العينين» (مز١٩:٨). «سراجٌ لِرجلي كلامُكَ ونورٌ لِسُبُلي» (١١٨:١٠٥).

ونحنُ نُقَبِّل الإنجيل إشارة إلى محبتنا له وفرحنا به فهو البشارة المُفرحَة كما يقول المرنِّم: «فرحتُ بكلامِكَ كمن وَجَدَ غنائم كثيرة» (١١٨:١٦٢).

إنّ دورة الإنجيل ترمز إلى حضور السيّد المسيح إلى العالم للكرازة والتعليم، وإلى قول الربّ: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلّها» (مر١٦:١٥). وبالفعل انتشر الإنجيل في العالم كلّه، وأشرَقَ بنوره في المسكونة كلّها وبدَّدَ ظُلمتها وأنارَ عقول ساكنيها.

الكتاب المقدّس هو **المصباح** الذي **ينير** لنا الطريق إلى الحياة الأبديّة والمجد الخالد.

يقول الحكيم سليمان: «لأنَّ الوصية مصباحٌ والشّريعة نورٌ» (أم ٦:٢٣).

يقول (كوردل هيل ـ الذي كان وزير خارجيّة أمريكا سنة ١٩٣٣): (إنَّ البشريّة اليوم هي في أَشَدِّ الحاجة إلى ولادة أدبيّة روحيّة ـ إعادة الحياة إلى الدّين ـ ولا يوجد طريقٌ أمين لبلوغ هذا الهدف السّامي، إلاَّ عن طريق التمسُّك بتعاليم الكتاب المقدّس).

وقال (يوحنا أَدَمس الأوّل رئيس الولايات المتحدة ١٨٢٥-١٧٨٩): (الكتاب المقدّس أفضل كتاب في العالم) .

وقال (ابراهام لنكولن): (كلُّ خير أعطاهُ المخلّص للعالم، جاءنا عن طريق الكتاب المقدّس، لولاه ما عَرَفنا الصّواب منَ الخطأ، كلّ ما يختصّ بمصلحة البَشَر هنا وهناك مُدَوَّنٌ فيه).

وقال (توماس هكسلي ـ عالم الأحياء): (في الكتاب المقدّس أسمَى المبادىء الأدبيّة وأجملها. وهو صَكُّ حُرِيّة المسكين والمظلوم. ولذلك لا يستطيع البَشَر أن يَستَغنوا عنه).

الكتاب المقدّس هو مصباح الحياة الذي يضيء الطريق نحو السماء

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديسين بطرس وبولس ٢٠١٥/٧/١٣

«لقد مَنحتَ الكنيسة رسولَيْك الموقّرَين بطرس وبولس فخرًا لها يا محبَّ البشر ، فهما يسطَعان فيها بصفة نيِّرَيْن عَقْليَّين، ومثل كَوكَبَين ناطقَيْن يتألَّقان نورًا ، مضيئَين المسكونة كلَّها. وقد جَلَوْتَ بهما الظلام الغربيَّ. يا يسوع القدير، مخلّص نفوسنا» . هكذا يصرّح مرنّم الكنيسة.

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح.

أيها المسيحيّون ا لحَسنُو العبادة .

لقد أشرق علينا اليوم عيدٌ بهيجٌ ، في هذا المكان التاريخيّ كفرناحوم ، الذي سُطّر مرارًا وتكرارًا في جنبات الكتاب المقدّس ؛ فهو عيدٌ جليلٌ لتذكار هامَتَي الرُّسولين بطرس وبولس ، الحامِلَيْن نعمة وموهبة الروح القدس ، فإنّهما يُعْتَبَران فخر اللّه الآب محبّ البشر للكنيسة المقدسة، لأنَّ القدّيس بطرس قد تمّ اختياره صخرة راسخة للإيمان، أما القديس بولس فيعتبر كاروز المسيح للكنيسة الجامعة المقدسة.

إنَّ كوكَبَي الكرازة الرسوليّة اللذين يتمتعان بالعقليّة النيِّرة يُعتبَران مصدرًا وإشارةً لما يتعلّقُ بالحجر الأساسيِّ للكنيسة ، ألا وهو ربُّنا وإلهُنا يسوع المسيح، مخلّص العالم، كما يشهدان بذلك في فحوى رسائلهما.

فيقول القديس بطرس: «الذي إذْ تأتُونَ إليْه، حَجَرًا حيًا مَرْفُوضًا منَ النَّاس، ولكنْ مُخْتَارٌ منَ اللَّه كَرِيمٌ» (١بط٢: ٤).

أما بالنسبة للرّسول بولسَ كاروز الكنيسة فيوضح قائلاً: «حَسَبَ نعْمَةَ اللّه المُعْطَاة لي كَبَنَّاء حكيم ، قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا ، وآخَرُ يَبْني عَلَيْه. فإنّه لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الذي وُضِعَ ، الذي هُوَ يَسُوعُ المَسيحُ» (١كور٣ : ١٠-١١).

إعتراف الرَّسول بطرس: «أنت هو المسيح ابن اللّه الحيّ» (مت١٦:١٦)، والإعلان للرَّسول بولس أنه يعمل «حسب نعمة اللّه المعطاة لي كبنّاء حكيم ...» (١كور٣ : ١٠-١١) ، هما الإشارة والدّليل الأساسيّ ، لنعمة الرسوليّة المميّزة والفريدة التي يتمتّعان بها.

ثَبَّتَ الرّسولان بطرس وبولس، رواسخ الكرازة الرّسوليّة للعمل الخلاصيّ للمسيح الإله الذي اشترانا نحن البشر بدمه الثمين. «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى ، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ، مِنْ سِيرَتِكُمُ البَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلا عَيْبٍ وَلا دَنَسٍ، دَمِ المَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ العَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١بط١: ١٨-١٩).

«مُبَارِكٌ اللّهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ، الذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي المَسِيحِ ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ العَالَمِ ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي المَحَبَّةِ .. الذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ ، غُفْرَانُ الخَطَايَا ، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أفس ١: ٣-٧،٤).

بالنسبة للرّسولَين اللذين نُكرّمهما اليوم ، أيها الأحباء ، فإنّ المسيح ابن اللّه الحيّ ، هو فاد للعالم ، وهو الفادي لكل واحد منّا من عبوديّة الفساد، والخطيئة والجَوْر والمكر ، فشخص كلمة اللّه يسوع المسيح قد تجسّد من دماء العذراء والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم.

إنّ الرّسولَين (المنفصلين جسدًا والمتّحدين روحًا) شاهدا مجد اللّه.

بكلام آخر فإنّهما قد شاهَدا الفداء بالمسيح ، كما يكرز رسول الأمم بولس:

«إِذ ا جَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللّه. مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الذِي بِيَسُوعَ المَسِيحِ» (رومية ٣: ٢٣-٢٤).

الخطيئة تعني التمرّد **(أبوستاسيّا)** على مشيئة اللّه وإرادته ، فهي التي جَرَّدت الإنسان وذُرِّيّته من مجد اللّه ، وكذلك جَرَّدت الإنسان من شركة الروح القدس ، شركة مخلصنا يسوع المسيح ، لكن مع كل نتاج هذه المعصية ، بَرَزَتْ محبّة اللّه غير المدركة للإنسان ، واهبة إيّاه ثانية ، حلّة الخلاص المجيدة. ليتسنّى للإنسان العودة لنوال الشركة مع نعمة الروح القدس الذي (يسكن في هيكل اللّه).

«أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللّه ، وَرُوحُ اللّه يَسْكُنُ فِيكُمْ ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللّه فَسَيُفْسِدُهُ اللّهُ ، لأَنَّ هَيْكَلَ اللّه مُقَدَّسٌ الذي أَنْتُمْ هُوَ» (١كور٣:١٦-١٧). هكذا يقول القديس بولس الرسول.

«إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ المَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ ، لأَنَّ رُوحَ المَجدِ واللّه يَحلُّ عَلَيْكُمْ. أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيُمَجَّدُ.» (١بط ٤:١٤). هكذا يقول الرسول بطرس.

هذه بالتدقيق رسالة الكرازة والتبشير ، فهي تقدّم سُبل التوبة الصادقة لخلاص الإنسان للرجوع إلى أحضان المسيح الإله. لهذه الكرازة دُعي الرسولان بطرس وبولس بدعوة إلهيّة خاصّة. كما يقول مرنّم الكنيسة: «لنمتدحنّ كلُّنا بطرس وبولس الإلهيّيْن. هامَتَي الرسل وكوكَبي المسكونة. وكاروزَي الايمان. والبوقَين الصادحَيْن بالالهيات. ومظهرَي العقائد وعمودَي الكنيسة . وداحضَي الضلالة».

نتضرَّعُ لإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي أنار بَصيرَتي القدّيسَيْن والرّسولَيْن بطرس وبولس بالنُّور الإلهيّ غير المُدرَك ، أنْ يُنيرَنا نحن أيضًا بنوره الإلهيّ بشفاعتهما غير المردودة ، لنصبح مستحقين نوال الخلاص ، باستنارة نفوسنا وأجسادنا ، الذي له كل تمجيد واكرام مع أبيه وروحه القدوس الآن وكل أوان، وإلى دهر الداهرين آمين.

كل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

بركات حياة التأمل للقديس باسيليوس الكبير

القديس باسيليوس الكبير

في التَّشبُّه بالربّ يسوع:

✚ «كلّ الأعمال ـ يا حبيبي ـ وكلّ الأقوال التي لربِّنا يسوع المسيح، هي قوانين للعبادة (واجبة التنفيذ) والفضيلة»

✚ «ولهذا فقد صارَ الربّ يسوع إنسانًا، لكي يضع بذاته لنا صورة العبادة والفضيلة، ويعلّمنا ذلك بالفعل والقول (وهو خير مثال لكل الأعمال) ويتشبّه به كلّ واحد منّا، حسب الاستطاعة البشريّة.

✚ «فإذا سَمِعْتَ ـ يا حبيبي ـ كلمة قالها ربّنا ـ أو عملاً ـ فافْحَصْهُ (تَأَمَّلْهُ) جيّدًا، ولكن مُشَارِكًا (مُنَفِّذًا) لهذا العمل ».

أيّهما تختار: عمل مريم (خدمة المسيح) أم مرثا (خدمة النّاس) ؟!

✚ «تأمَّل ما أقول: مرثا قَبِلَت الربّ (في بيتها) ومريم جَلَست عند قَدَميه (تَفَرَّغت) لكي تُصغي إلى أقواله. فنشاطُ كلتيهما جيّد ، ولكن ينبغي أن نُمَيِّز عمل الواحدة عن عمل الأخرى، ونفهم ما قيلَ فيه ».

✚ «مرثا خَدَمَت ـ بنشاط ـ حاجة الجسد، لتضع أمام الرّب. وأمَّا مريم أختها فجلست عند قدميه تستمع إليه. سألَتْهُ مرثا أن يَدَعَ أختها تُساعدها في خدمتها وتَعَبِها (في إعداد الطعام للضيوف مع المسيح).

✚ فقال لها الربّ: « مرثا ... إنّك مُهْتَمَّةٌ بأمور كثيرة (مشاغل العالم الماديّة) والحاجة اليها قليله. (لَقمة وثوب فَي نظرً الرسول بولس). ومريم اختارَت لها نصيبًا صالحًا (محبّة المسيح والجلوس معه) لا يُنزَع منها».

✚ «فَكأنَّهُ قال لها: : «لم آت لكي أُتيحَ (أُهَيِّيءَ واسمَحَ) للبطن في طلب الطعام، بل أتيتُ لأُغَذِّيَكُم بكلام الحقِّ. فمَدَحَ عَزْمَ مريم (التكريس) ولم يمنع مرثا من خدمتها (الإجتماعيّة). فَعَمَلُ مرثا ليس بمطروح (واجبٌ عملَهُ) ، ولكن عملُ مريم أفضلُ منه (بمقياس الرّوح) لأنّها رَفَعَت عَقلَها الى الأمر الأفضل» (تفضيل الرّوحانيات).

✚ «فافهم هذا المعنى روحانيًا ـ يا حبيبي ـ فإنّ كنتَ تُريد أن تخدم النّاس من أجل المسيح، فاصنع هذا،فهو مقبولٌ وجيّدٌ عند اللّه ، لأنّه قال بفمه الطاهر: «مهما عملتموه مع إخوتي الصغار (المساكين) فبي فعلتم».

✚ «فإنْ كنتَ تغارُ من عمل مريم، التي تركت خدمة الجسَد، وصعدت بفكرها إلى التعليم الروحاني. فامش كاستحقاق العمل، وأظهر سيرة مستقيمة في طريق اللّه. واترُك الأمـــور الظـاهرة، المختصة بجسَدكَ وبالعالم، من لذّة المأكل وغير ذلك (راجع متى ٦:٢٤-٣٤).

✚ «واجلس عند قَدَميّ الربّ واسمع كلامه، لتكون مُشاركًا لأسرار اللاهوت (التمتّع بوسائط الخلاص). فإنّ النَظَر (التأمّل) في تعليم الربّ عظيمٌ.وأرفَعُ من كُلّ خدمة (اهتمامات) الجسد. وإن استطعت أن تقومَ بالعَمَلَيْن (العبادة + خدمة النّاس) فأنتَ تقتَني أجرهما، والطوبى (البَرَكة) التي لهما، وإلا فاختَرْ الأفضَل، وهو الروحاني، الذي قال عنه (الرّبّ) إنّهُ النصيب الصالح».

هذا النداء نادَى به يوحنا المعمدان بروح الإلهام، وبعَيْن النبوَّة ليشهدَ للمسيح، لأنّه تَعَيَّنَ من اللّه خصيصًا لهذا الغرض. فقد تَنَبَّأَ عن يوحنا المعمدان ملاخي النبيّ قائلاً: « هأنذا أُرسل ملاكي، فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي» (ملاخي ٣:١). وكان يوحنا المعمدان يعرف رسالته تمام المعرفة.

فماذا قال يوحنا عن نفسه وعن رسالته ؟

✚ «وهذه هيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حينَ أَرْسَلَ اليَهُودُ مِنْ أورَشَليمَ كَهَنَةً ولاويِّينَ لِيَسألوهُ: "مَنْ أَنْتَ ؟" » (يو١:١٩).

كان يوحنا يعرف تمامًا: من هو، وما هي رسالته التي أُرسلَ لإتمامها ؟ فقد كان يُدرك تمامًا أنه جاءَ لِيُمَهِّدَ الطريق أمام المسيَّا، وذلك بأخْذ اعترافات الشعب، وَحثِّهِمْ على التوبة، وتعميدهم بالماء مُعْتَرِفينَ بَخطاياهم، ومؤكِّدًا لهم أنَّ ما يعمله ليس إلاَّ تمهيدًا لِمَن يأتي بَعده، وذلك بقوله: « أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بماء للتَّوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى منِّي، الذي لستُ أهلاً أنْ أحملَ حذاءَهُ. هو سَيُعَمِّدُكُمْ بالرُّوحِ القُدُسِ وَنَارٍ» (مت ٣:١١).

لذلك لَمَّا سألوه: «مَن أنتَ؟ اعترفَ ولم يُنْكر، وأقَرّ: أنّي لستُ أنا المسيح! فسألوهُ: إذًا ماذا ؟ إيليّا أنتَ ؟ فقال: لستُ أنا. ألنبيّ أنتَ ؟ فأجابَ: لا. فقالوا له: مَن أنتَ، لنُعطي جوابًا للذينَ أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ أنا صوتُ صارخٍ في البريّة، قَوِّموا طريق الربّ، كما قال إشعيا النبيّ» (يو١:٢٠-٢٣).

لقد أَبَى يوحنا المعمدان أن يَعتبر نفسه شيئًا، فَحَسبَ نفسه مجرَّد: «صوتُ صارخٍ في البريّة». تعبيرٌ يخلو من كلّ اعتبار للذّات، فهو صوتٌ يصرخ ليشهدَ بما كُلِّفَ به: أن يَشهَدَ له، الذي هو غير مستحق أن ينحني ويحلَّ سُيورَ حذائه: «حَمَلُ اللّه الذي يرفع خطيئة العالم»، الذي « سيُعَمِّدُكُم بالرّوحِ القدس ونارٍ».

تعَجَّبَ أولئك المُرْسَلونَ ليسألوه عن شخصه ورسالته، وذاب قلبهم من هيبة الواقف أمامهم في تَجَرُّده وزُهده وخشونة مظهَره وانسحاقه وإنْكاره لذاته ، ولكنهم عادوا مُتَحَيِّرينَ لا يعرفون بماذا يُجيبونَ الذينَ أرسَلوهُم !

يوحنا المعمدان يَشهَد للمسيح:

✚ «وفي الغَد نظرَ يوحنَّا يسوعَ مُقبلاً إليه، فقال: "هوذا حَمَلُ اللّه الذي يَرْفَعُ خطيئةَ العَالم !» (يو١:٢٩).

كان يوحنا قَد سَبَقَ ورأى يسوعَ وهو قادمٌ إليه وَسطَ جموع العشَّارين والخَطَأة ليَعْتَمدَ منه. ولَمَّا اعتَمَدَ جميع الشعب، تقَدَّمَ أيضًا ليَعتمد ! فهالَ هذا الأمر في عينيّ يوحنّا، لأنّه من غير المعقول أن يكون غير عارف بمَن جاء ووقَفَ أمامه، فهو الذي ارتكضَ بابتهاج في بطن أُمّه أليصابات لَـمَّا سمع صوت سلام العذراء وهي حامِلٌ بيسوع. فلما ظهر المسيح أمامه وعَرَفَهُ بالرّوح وعَرَفَ نيَّة المسيح بالعمّاد منه، تَمَنَّعَ وتراجَعَ منزَعجًا، وقال للربّ: «أنا محتاجٌ أن أعتمدَ منكَ، وأنتَ تأتي إليَّ !» (مت٣:١٤). فأجابه الربّ قائلاً: «اسمَح الآن، لأنّه هكذا يليقُ بنا أن نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ. حينئذٍ سَمَحَ له» (مت ٣:١٥).

والبرُّ هنا الذي يقصده الربّ يسوع، هو برّ طاعة اللّه وتكميل مشيئته، وهو اعترافٌ بأنَّ معموديّة يوحنا هي من السماء، وبحسب مشورة اللّه لاستعلان رسالة المسيح، وسرّ الثالوث وشهادة الآب لابنه الحبيب، وظهور الرّوح القدس، واستقراره عليه. كما كان ذلك ضروريًا لأنْ يُكْمل يوحنا رسالته التي جاء من أجلها، حسب قوله: «وأنا لم أَكُنْ أعرفُهُ. لكن ليُظْهَرَ لإسرائيل، لذلك جئتُ أُعَمِّدُ بالماء. وشَهِدَ يوحنّا قائلاً: **إنّي قد رأيتُ الرّوحَ نازلاً مثْلَ حمامة من السماء فاستَقرَّ عليه**. وأنا لم أكن أعرفُهُ، لكنّ الذي أرسلَني لأُعَمِّدَ بالماء، ذاك قال لي: الذي تَرَى الرّوحَ نازلاً ومُستَقرًا عليه، فهذا هو الذي يُعَمِّدُ بالرّوح القدس. وأنا قَد رأيتُ وشَهِدْتُ أنَّ هذا هو ابنُ اللّه» (يو١:٣١-٣٣).

ولَمَّا رأى يوحنا برؤية العين المستنيرة بالنعمة، والمكشوف عنها غشاوة العالم الماديّ، ونظَرَ وشاهَدَ العلامة التي أخبره بها الآب الذي أرسلَهُ ليُعَمِّدَ بالماء ؛ شَهِدَ بما رآه أنَّ هذا هو الذي سَيُعَمِّد بالرّوح القدس، وهو المسيّا المسيح ابن اللّه. ثمَّ لَمَّا نظَرَ يوحنّا يسوعَ ـ بعد عُمّاده ـ مُقبلاً إليه، بعد أن عَرَفَهُ: مَن هو! إذ كان قد استُعلنَ له علَنًا بنُـنُوَّة المسيح للآب الذي شَهِدَ له بأنّه حائز لملء حُبّ الآب باعتباره الابن الوحيد والمتَّحد به مَلء الرّوح ؛ صَرَخَ يوحنا بملء فيه وشَهِدَ قائلاً: «هذا هو حَمَلُ اللّه الذي يرفع خطيئة العالم» (يو١:٢٩).

فما هو مضمون هذه الشهادة ؟

وماذا يعني يوحنا المعمدان من شهادته للمسيح بأنّه حَمَلَ اللّه ؟

لم يَكُن قصده قطّ أنه على مثال الحَمَل الذي ذَبَحَهُ بنو إسرائيل في كلّ بيت من بيوتهم في مصرَ لكي يَنجَوْا بدمه من المُهلك عند خروجهم من أرض مصر، ولا كلّ الحملان التي ذُبحَت في الهيكل كذبائح خطيئة أو إثم أو محرقات بلا عدد ؛ فهذه كلّها كانت رموزًا وإشارات وُضعَت لزمان الإصلاح. ولكنه كان يقصد ذاك الذي أشارَ إليه إشعيا النبيّ: «كَشاة تُساقُ إلى الذَّبحِ، وكنعجَة صامتَة أمَامَ جازِّيها فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ ...» (إش ٥٣:٧). وقد وَصَفَ إشعياءُ النبيّ كيف رفَعَ هذا الحَمَل ـ الذي رآه بعين النبوَّة ـ خطيئة العالم، بقوله: «لكنَّ أحزانَنَا حملَها، وأوْجاعَنا تحمَّلها. ونحنُ حَسِبْنَاهُ مُصابًا مَضْرُوبًا من اللّه ومذلُولاً. وهو مجرُوحٌ لأجل معاصينا، مَسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديبُ سَلامنَا عليه، وَبِحُبْره (بجَلدَته) شُفينا. كُلُّنَا كغَنَم ضَلَلنا، ملْنا كلُّ واحد إلى طريقه، والرَبُّ وضَعَ عليه إثمَ جميعنا ... أمَّا الربُّ فَسُرَّ أن يسحَقَهُ بالحَزَن، إنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذبيحةَ إثم، يرى نسلاً تطُولُ أيَّامُهُ، ومسرَّةُ الرّبِّ بيده تنجَحُ. من تعب نفسه يرى ويشبَعُ. وعبدِيَ البَّارُ بمعرفَته يُبَرِّرُ كثيرينَ، وآثامُهُم هو يحملُها. لذلك أَقْسِمُ لهُ بين الأعزَّاء ومع العُظمَاء يَقْسِمُ غنيمةً، من أجل أنّه سَكَبَ للموت نفسَهُ، وأُحصِيَ مع أثَمَة ، وهو حَمَلَ خطيَّة كثيرينَ، وشَفَعَ في المُذنبين » (إش ٥٣:٤-١٢).

يُهَيَّأ لنا أن نبوَّة إشعيا هذه كانت شُغل المعمدان الشّاغل، وكان همُّه وكل تركيزه واهتمامه هو غَسْلُ خطايا البشريّة، وهو قد أُرسلَ ليُعَمِّد بالماء. وهو يعرف استحالة غسل الخطيئة بالماء، ويعلَم أنَّ ما يعمله إنما هو تمهيدٌ لمَن يأتي بعده الذي سيغسل الخطايا ويُعَمِّد بالروح القدس والنار. ولكنّه لما رأى المسيح آتيًا إليه ليَعْتَمِدَ منه بكل اتضاع، أبصرَ فيه بروح النبوَّة والإلهام، الحَمَل الوديع الآتي إلى الذَّبح: «كَشاة تُساقُ إلى الذَّبح».

ولعلّ المعمدان أبصرَ في وداعة المسيح وخضوعه للمعموديّة وسط الخطأة، صورة الصليب، وقبول المسيح للمسئوليّة العظمى لحَمْل خطايا العالم كلّه: «وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، ومسحوقٌ لأجل آثامنا». ويعلّق **الأب متى المسكين** على ذلك بقوله: ﴿فلما قال المعمدان: «هوذا حمل اللّه» ، لم يَكُن قد رأى المسيح حَمَلاً، لكنّه رأى مُجمَل الفداء كلّه في لمحة ذهنيّة خاطفة، ورأى الخلاص شاملاً كافيًا العالم ؛ بل ورأى العالم فيه مفديًا ؛ ورأى الخطيئة بثقَلها الدهريّ ترتفع من فوق كاهل العالم المحنيّ تحتها هذه الدُّهور، لتوضَعَ فوقَ المسيح الحمَلَ، فلا توجَد﴾.

فقد تلاشت كل خطايا العالم بمجرّد وَضْعها على المسيح القدّوس الذي بلا خطيئة.

ولكن ما هو المقصود بقوله: «يرفع خطيئة العالم» ؟

يُلاحَظ أنَّ كلمة «يَرفَع» جاءت في الفعل المضارع، وهي باليونانيّة O AIPΩN وهي تعني أنّه "يَرفع ويَظَلّ يرفع خطيئة العالم". وهذه الكلمة (أو إيرون) استخدمها القدّيس يوحنا الرسول في رسالته الأولى: «وتعلمون أنّ ذاك أُظْهِرَ لكي يرفع خطايانا، وليس فيه خطيئة» (١يو٣:٥). وهو تعبيرٌ لاهوتيّ عميق أخَذَته الكنيسة وأدْخَلَته في صلواتها مثل المجدلة الكبرى: «يا ربّ يا إله، يا حمل اللّه يا ابن الآب يا حامل خطايا العالم ارحمنا، يا رافع خطايا العالم». وكذلك تُقال هذه الطلبة في القسمة السريانيّة: «أنتَ هو حَمَل اللّه الحامل خطيئة العالم،اغفر ذنوبنا، واترك خطايانا، وأقمنا عن جانبك اليمين».

أشعياء النبيّ

يعتبر سفر إشعياء النبيّ إنجيل العهد القديم، لأنّه البشارة الحسنة لمجيء لمسيح الإله ، وسرّ تدبيره الإلهيّ .

وَيُوَضِّح بولس الرسول المقصود بـ«رَفْع خطيئة العالم» ، أنه يعني: رَفْع حُكم الموت حسب الآية: « وإذ كُنتُم أمواتًا في الخطايا وَغَلَف جَسَدكُم، أحياكُم معَهُ مُسامحًا لَكُم بجميع الخطايا، إذ محَا الصَّكَّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدًّا لنا، وقد رفَعَهُ من الوسَط مُسَمِّرًا إيَّاهُ بالصليب. (كولُسي ٢:١٣-١٤).

ويُعلِّق على ذلك **القديس يوحنا الذهبيّ الفَم** قائلاً: ﴿من الواضح أنه (المسيح) هو النقيّ الذي وحده قادرٌ على أن يغسل تمامًا خطايا الآخرين ... وعندما يقول (المعمدان): "حمل اللّه"، فهو يريد أن يُذَكِّر اليهود بنبوءة إشعياء وبظلال ناموس موسى، لكي يقودهم من الظلال إلى الحقيقة، لأنّ الحَمَل حسب شريعة موسى لم يَرْفَعْ ولا مرّة واحدة خطيئة إنسان واحد. **أمّا هذا الحَمَل فهو يرفع خطايا العالم كلّه**، لأنّ العالم كان في خطر الهلاك، ولكنّه خَلَّص العالم من غضب اللّه﴾.

ويعود **القديس يوحنا الذهبيّ الفم** إلى نفس النصّ، فيقول: ﴿إنَّ عبارة: «حَمَل اللّه الذي يرفع خطيئة العالم» تُعلن عن العطيّة التي جاء لكي يُعطيها (المسيح)، وأسلوب التطهير. لأنّ الحَمَل حسب شهادة المعمدان «**يرفع**». ولم يَقُل أبدًا إنّه: «سوف يرفع» أو «رَفَعَ» بل «**يَرفع**» خطايا العالم، لأنه يعمل هذا دائمًا. فقد رَفَعَ الخطايا، ليس فقط عندما تألَّم، بل منذ ذلك الزّمان لا زال يرفع الخطايا. ليس لأنه يُصلَب ويُعاد صلبه ـ لأنّه قُرِّبَ ذبيحة واحدة عن الخطايا ـ بل بهذه الذبيحة عينها يُطَهِّر باستمرار الخطايا﴾.

ويقول بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: «وأمَّا المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دَخَلَ **مرَّة واحدة** إلى الأقداس، فَوَجَدَ فِداءً أبديًا» (عب٩:١١-١٢).

وفي رسالته أيضًا إلى أهل رومية، يؤكّد بولس الرسول أنَّ

المسيح إلهنا «حمل اللّه الذي يرفع خطيئة العالم»، قد أحبّنا ونحن بعدُ خطأة، وذلك بقوله: «لأنّ المسيح، إذ كُنَّا بعدُ ضعفاء، مات في الوقت المُعَيَّن لأجل الفجّار. فإنّه بالجَهْد يموت أحدٌ لأجل بارٍّ. رُبَّما لأجل الصالح يجسُر أحدٌ أيضًا أن يموت. ولكنَّ اللّه بَيَّنَ محبته لنا، لأنه ونحنُ بعدُ خَطَأة مات المسيح لأجلنا. فبالأولى كثيرًا ونحن مُتَبرِّرون الآن بدمه نخلُص به من الغضب. لأنه إنْ كُنَّا ونحنُ أعداءٌ قد صولحنا مع اللّه بموت ابنه، فبالأوْلَى كثيرًا ونحنُ مُصَالَحون نخلُص بحياته» (رو٥:٦-١٠).

وهذا يؤكّده يوحنّا الرسول في إنجيله: «هكذا أحبَ اللّه العالم حتى بذَلَ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣:١٦).

فاللّه قد أحَبَّ العالم كله، وقَدَّم نفسه ذبيحة عن العالم كلّه، وهو يُريد أنَّ الكلّ يخلصون وإلى معرفة الحقّ يُقبلون. فهو بالحقّ « حَمَلَ اللّه الذي يرفع خطيئة العالم كلّه». وهو ذات الحَمَل الذي سيقَ للذبح حسب نبوّة إشعياء (٥٣:٧). ويُعلِّق على ذلك **القديس كيرللس الإسكندري** قائلاً:

﴿ قيلَ قديمًا، وأشار إليه ناموس موسى رمزيًا، ولكنه حسب الرمز خَلَّصَ قليلين، ولم تشمل الرحمة كلّ العالم، لأنَّ ذَبْح الحَمَل كان ظلاً للحقيقة. وأمَّا الآن فهو ا لحَمَلُ الحقيقي والذبيحة التي بلا عيب، قد سيقَ للذبْح من أجل الكلّ، لكي يُبيد خطيئة العالم، ولكي يدوس ويبيد المُهلك، أي الشيطان الذي يدمِّر الأرض ؛ لأنّه عندما يموت من أجل الجميع يُبيدُ الموت ويحلُّ اللعنة التي أصابتنا، ويَضَع نهاية تامّة لِمَا قيلَ قديمًا: «لأنّك تراب وإلى التراب تعود» (تك٣:١٩). ولكي يُصبح هو آدم الثاني الذي ليس من الأرض بل من السماء، ويكون بداية الصالحات للطبيعة الإنسانيّة، ويحرّرنا من الفساد الدخيل، مانحًا الحياة الأبديّة، أساس مصالحتنا مع اللّه، بداية التقوى والبرّ ، طريقُ ملكوت السمات﴾. (شرح إنجيل يوحنا ١:٣٠ المجلّد الأول).

ويستطرد **القديس كيرللس الكبير** مؤكّدًا نفس المعنى، أنَّ الحَمَل الواحد مات لأجل الكلّ:

﴿لقد ماتَ الحَمَلُ الواحد من أجل الكلّ، وخَلَّصَ القطيع كلّه، الذي على الأرض، اللّه الآب، الواحد من أجل الجميع لكي يُخضع الكلّ للّه، الواحد من أجل الجميع لكي يكسبَ الكلّ حتى لا يعيش الباقون لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام (٢كو٥:١٤).

لقد أُبيدت الخطيئة، فكيفَ لا يُباد الموت الذي بسبب الخطيئة جاء مع الخطيئة ؟ إنَّ ذبيحة الحَمَل هي عيدٌ عظيمٌ لنا، لأنّنا نقول: «أينَ شوكتك يا موت ؟ أين غَلَبَتُك يا هاوية ؟ » (١كو١٥:٢٥)، لأنَّ الآثام ـ كما يقول صاحب المزمور وهو يُسَبِّح اللّه ـ قد سُدَّ فمها (مز ١٠٧:٤٢). ولا تقدر الآثام أن تشتكي الذين يُخطئون بسبب الضعف، لأنه إذا كان اللّه هو الذي يُبَرِّر، فمن الذي يشتكي (رو ٨:٣٣-٣٤) ؟

المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صارَ لعنةً لأجلنا، لكي نتحرَّر نحن من لعنة التعدّي﴾.

من أين أتينا وإلى أين نذهب ؟

وُجِدَ العالَمُ لأنّ اللّه أراد أن يوجده. ومنذ البدء كان للّه قَصدٌ للخليقة. وهذا القصد الإلهي هو تاريخ بدايتنا والغاية التي إليها نذهب. أما (تك١:١) فلا يتحدث عن البداية الحقيقيّة لكل الوجود؛ وإنما يتحدث فقط عن بداية الكون المادي، بداية خَلق الله للحياة والبشر. ولكن من قَبل هذه البداية، واللّه كائن.

وينبع القَصد والهدف لكلّ المخلوقات من طبيعة اللّه نفسه. والطبيعة المحوريّة للّه وكل مقاصده وأعماله هي أنه ليس إلهًا بسيط الوجود. فقبل أن توجد الأشياء، كان اللّه موجودًا في أقانيم ثلاثة ـ الآب والابن والروح القدس ـ. وكل ما عمله اللّه وما سوفَ يعمله نابعٌ من علاقة الحبّ والوحدة الفريدة بين هذه الأقانيم الثلاثة. فاللّه لم يخلق المحبّة، ولكنه هو ذاته المحبّة، ولم يبتدع العلاقات وإنما هو كائنٌ في علاقة منذ الأزل وإلى الأبد.

وهكذا فإنّ مفهوم الشركة له الأولويّة عند اللّه وهو رغبته العظمى، وهكذا ينبغي أن تكون أولوياتنا، فاللّه لم يخلقنا لنعمل أشياء من أجله، وإنما لكي نحبّه ونُكَرّمه كحق الأبوّة على البنين. وحياتنا بأكملها يجبَ أن تُؤَسّس على تلك الشركة الحميمة مع اللّه إله الشركة.

وكما قيل فإنّ:

الحب هو من نسيم الكرام

أرض الموعد

لمّا أقام اللّه عهدًا مع إبراهيم وَعَدَهُ، إلى جانب النَسل بعدد البحر، أن يُعطيه أرض كنعان، أرض الموعد. وبعد تقلبات عديدة، صارَ شعب إسرائيل مُستعبدًا في مصر، فقال اللّهُ لموسى: «فالآن هلمَّ فَأُرسِلُكَ إلى فرعون، وتُخرِجُ شعبي بَني إسرائيلَ من مصر» (خروج ٣:١٠). ثمّ أضافَ : «أنا أكون معك».

فخرجَ شعبُ إسرائيل حاملين العصيَّ بأيديهم منطلقين إلى أرض الموعد. وكان عبورُهم، من أرض مصر عبر البحر الأحمر والصحراء، هو الفصحُ عندهم. ونحنُ أيضًا مثلهم سيّاح عابرون نحو أرض الموعد التي هي أورشليم السماويّة، وطننا الرّوحي ، المبنيّة «بحجارة حيّة» (ابطرس ٢:٥)، وأبوابها هنا على الأرض، هي أبواب الكنيسة التي تدلّنا على طريقها. هذه هي أورشليم الجديدة، الخليقة الجديدة، السماء الجديدة والأرض الجديدة اللتان وعدنا بهما سفر الرؤيا : «فيها عرش اللّه والحمل فيعبده عبادُه وينظرون وجهَه ويكون اسمهُ على جباههم» (رؤ٢٢:٣-٤).

محبة الفقراء
للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

من صفات عمل الرحمة مع الفقراء:

الرحمة عن طريق تقديم الصَّدَقَة، هي بمثابة ملكة الفضائل، وهي التي تُصعد البَشر بسرعة إلى السماء. إنّ أجنحتها تشقّ الهواء، وتجتاز القمر، وتتفوّق على الشمس. ولكنها لا تتوقّف عند السماء ، بل تعبُر السماء بكلّ ما فيها من ملائكة، ورؤساء ملائكة وكل القوّات الرّوحية، وتقف بجانب عرش اللّه السماويّ وهذا ما نتعلّمه من الكتاب المقدّس الذي يقول: «كرنيليوس صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام اللّه» (أع١٠: ٤).

فإنّنا نستطيع بها أن نتشبَّه باللّه الرّحوم، وحينما لا نكون متشبّهين به في هذا الأمر، فنحن محرومون من كل فضيلة. لم يَقُل الرّب أن نصوم لكي نشبه أبانا السماوي، ولم يَقُل لنَتبتَّل، ولم يَقُل صلّوا لكي تتشبّهوا بأبيكم السماوي، لكن ماذا يقول: «فكونوا رحماء كما أنّ أباكم أيضًا رحيم» (لوقا ٦:٣٦). فهذا هو عمل اللّه دائمًا معنا. فبدون البتوليّة يستطيع الشخص أن يرى ملكوت السماوت. لكن بدون الرحمة مستحيلٌ، لأنّها من الضروريّات ومن تلك الأشياء التي تحفظ الكون، ولهذا فَحَقًا نسميها قلب الفضيلة.

إنّ الرحمة هي إحدى تجلّيات المحبّة التي تَتَّصف بها المسيحيّة، والتي هي أعظم من كلّ المعجزات. إنّ الرحمة هي دواء لخطايانا، إنّها حقًا سُلّمٌ يرفعنا إلى السماء. هي التي تَربِط وتُوجِد أعضاء جسد المسيح.

إنّها أساسٌ للتوبة وشرطٌ لمغفرة الخطايا. يقول الكتاب: «أعطوا ما عندكم صَدَقَةً، فهوذا كُلّ شيء يكون نقيًا لكم» (لوقا ١١:٤١). كما يقول أيضًا في يشوع بن سيراخ «الماء يطفىء النّار الملتهبة والصدقَة تُكَفِّر الخطايا» (٣:٣٣).

فوائد الصَدقة:

+ أفضَل ادِّخـــار

ما الفائدةُ أن نترك ثروةً كبيرةً في بلاد غريبة، أما في وطننا الحقيقي الذي هو السماء لا يكون لدينا حتى الضرورات ؟

يجب أن نُقَيِّم أمورنا الآن قبلَ فوات الأوان، ولْنَنْقُل إلى هناك (الحياة الأبديّة) ما لدينا في البلاد الغريبة (حياتنا الأرضيّة). لأنه حتى وإن كانت المسافةُ بعيدةً، إلاّ أنّ النَّقلَ سهلٌ جدًّا . فأيدي الفقراء تضع في خزائن السماء ما نعطيهم. فحينما تكون إذًا الأمور بهذه السهولة الكبيرة، وكذلك الأمان فلماذا نتردّد ونتراجع ولا نفعل هذا بكل اهتمام، لكي نجد هذه العطايا هناك، حيث نحتاجها كثيرًا ؟

لا مانع من أن تَتمتّع بالرّاحة، وبعدما ترضي احتياجاتك الخاصّة، وزِّع ما يتبقّى وغير المستخدم على هؤلاء الذين في ضائقة بسبب الجوع، ولأجل الذين يتجمّدون من البَرد. دعونا نوّزع إذًا، ما يزيد، على بطون هؤلاء الفقراء وَلْنَبْذُرْ وَنَزرَعْ طالما هناك وقتٌ، لكي نحصُد في الزّمان المناسب، ولكي لا نندمَ بعد مرور الوقت ولاتَ ساعةَ مَندَم، لأنّنا فوّتنا الفرصة الحاضرة المُتاحة بدون أيّ إستفادة. هل رأيتَ مثل هذا الشكل الجديد للغنَى ؟ فحينما تُنفق الثّروة المخزونة، فحينئذ ستزداد أكثَر، أمّا إذا دفَنتها في الأرضَ، فإنّها تتناقَص.

فما العجيبُ إذا حدث هذا في الأمور الروحيّة في الوقت الذي فيه يحدث نفس الأمر في الأمور الماديّة ؟ لأنه إن كان أحد يحزَن على القمح المخزون في بيته، والذي لم يتصَرّف فيه، ولم يبْذره في الحقول، وإنما سلَّمه إلى فم الديّان. وفيما لو نَثَرَهُ في الحقول، لَدَرَّ عليه محصولاً أوفَرَ ، فاسمعوا هذا يا مَن تستصعبون أن تصنعوا الرحمة.

إنّ عمل الرحمة هو نوعٌ من أنواع التجارة أو الزراعة، أو أفضَل من الإثنين لأنّه أكثَر ربحًا وأمانًا. لأنّ التجارة تتعرَّض للرياح وأمواج البحر والغَرَق. وكذلك البذور تتعرّض للجفاف والفيضانات وتقلّبات مناخيّة أخرى ، بينما حينما نضع الأموال في أيدي المسيح (بواسطة العطاء)، فلا يستطيع أحدٌ أن يسلبها من يده، ولكنها تبقى وتحفظنا كثيرًا وتُعطينا ثمرًا لا يُعَبَّر عنه، وتُعطينا الحصاد الوفير في الوقت المناسب. فالكتاب يقول: «مَن يزرع بالشُّح فبالشُّح أيضًا يحصد. ومن يزرع بالبَرَكات فبالبركات أيضًا يحصد» (٢كو٩:٦). لاحظ أنه لم يَقُل «**يُعطي**» أو «**يُوَزِّع**» وإنما «**يزرع**»، فهو يُسَمّي الأمر زراعة لأنه في النّهاية هناك حصاد وثمر ينتج عن الصَدقة. إذًا الموضوع ليس هو عطاء وإنما على الأغلَب أَخـذٌ، ولا هو نفَقَة وإنّما هو ربحٌ. فأنتَ تُعطي خُبزًا وتَحصد حَياةً أبديّة. تُعطي مَلبَسًا وتأخذ حُلّة غير فاسدة، تضيف في منزلك وتحصد مقابل ذلك ملكوت السموات. تُعطي خيرات ماديّة، تلك التي تُفقَد، وعندك مُلكيّة دائمة تلك التي تبقى بدون هلاك.

هل ترى ما هو أكثر عَجَبًا من ذلك، فإنّ تلك الأشياء التي تجمعها تضيع، وتلك التي توزّعها تبقَى. لأنّ تلك التي تُوَزَّع ومعها رحمة يقبلها اللّه، ولا يمكن لأحد أن يخطفها من يد اللّه. وإنما الأخرى فإنّها توضَع في خزائن بشريّة، حيث أنّ الكثيرين يَطمَعون ويحسدون حينما يرونها .

+ تمنح السّكينة:

الغنى الحقيقي، هو الثروة التي لا تَفنَى، وهذا يكون حينما نرغَب فقط في تلك الأشياء التي نحتاجها، وأما تلك التي تزيد عن حاجاتنا فلنُخَصّصها، أو ننفقها كما ينبغي أن نفعل. فذلك الذي يفعل هكذا لا يخاف أبدًا الفقر، ولا يُعاني من أي تجربة، ولا يَقَعُ في محنَة، بَل سيتحرّر من فاعلي الشّر، وسَينعَم في هدوء وسلام ، مستمتعًا بالرّاحة، بعيدًا عن الهمّ المُقْلق. والأهم والأعظم في الأمر أنّه يَحظى برحمة اللّه، فيكون اللّه سَنَدًا له لأنّه كان أمينًا في تدبير أموال سيّده.

+ تمنح شجاعةً:

حقًا فإن الرحمة هي فنٌ عظيم تحمي هؤلاء الذين يسلكون في طريقها، لأنّها محبوبة لدى اللّه وقريبة منه. وهي تطلب نعمة لهؤلاء الذين تريدهم، شريطَةَ أن تكونَ قائمةً على العَدل، فلا نُصيبُها بأموال سَبَقَ سَلبها من آخرين. أما حينما تكون الأموال نظيفة، فهي تمـنَحُ أولئك الذين يقدّمونها للّه جرأة كبيرة. إن قوّتها عظيمةٌ جدًا لدرجة أنها ترجو اللّه من أجل أولئك الذين تخاصموا معه، ولأولئك الذين أخطأوا. إنّها **تُكَسّر القيود، تحلّ الظلام، تطفىء النّار، وتقضي على الدّود الذي لا يموت، تُبعد صرير الأسنان، تفتح أبواب السماء بكلّ سهولة.** وكما هو الحال حينما تدخل الملكة القصور ، فحرّاس الأبواب لا يجرؤون على سؤالها مَـنْ أنت منْ أين أتت ؟ وإنّما سيقبلها الجميع فورًا، هكذا إذًا الرّحمة، لأنّها حَقًا ملكة، تجعل البَشَر متشبّهين باللّه.

+ بها نربح السماء:

هل معك خمسة قروش، اشتَرِ السماء، ليس لأنها رخيصة، ولكن لأنّ الرّب محبٌ للبشَر. وإن لم يَكُن معك، فأعط كأس ماء بارد، حيث يقول الكتاب: «ومن سَقَى أحد هؤلاء الصغارَ كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، فالحقّ أقول لكم إنّه لا يُضيع أجره» (مت ١٠:٤٢). فإن أعطيتَ خبزًا تأخذ الفردوس، أعط الأشياء الصغيرة فتأخذ الكبيرة، أعط الفانيات تأخذ الباقيات، أعط الأشياء التي سَتَفسُد وخُذْ تلك التي لا تَفسُد. إذًا الموضوع به تجارة ونحن لا نهتم بذلك فالرحمة تحرّر النفس.

حينما نقف للدينونة، تأتي الرحمة طائرةً وتتقدّم وتنقذنا من الجحيم، وتَرفُّ علينا بأجنحتها غطاءً لنا. يُفَضّلها اللّه أكثر من الذبائح. وهذه الرحمة أنقذت الجنس البشريّ، فإن لم يترأف اللّه بنا، فإنّ كلّ شيء مقضيٌ عليه. فإنّ هذه الرحمةَ، وإن عادَينا للّه، فأنّها تُصَالحنا معه، فلَقَد صارت شفيعًا لخيرات غير مُحصاة. وهي السبب في أن يصير ابن اللّه إنسانًا، ويتنازَل ويجتاز هذا (الذي اجتازه).

+ أكثر الحرَف فائدةً:

إنّها حرفةٌ وأفضَل من كُل الحرَف الأخرى، فإذا كانت ميزة الحرفَة تنتَهي بإنجاز أمر مفيد ومع علمنا بفائدة الرحمة ونَفعها، فهي أسمى الحرَف ولا سيّما مع الفقراء. فهي لا تصنع أحذيةً، ولا تَنسجُ ملابسَ، بل تَمنحنا الحياة الأبديّة، وتَشيعُ فينا نورَ الأمَل، وفي الحياة الأخرى تُؤمّنُ لنا بيوتًا في السماء. ولا تترك مصابيح إيماننا ولا محبتنا تنطفىء، ولا تتركنا نتقدّمُ لعُرسنا في الملكوت الآتي بملابس ملوّثة، بَل تغسلها فتجعلها أنظَفَ من الثلج. ولذلك يقول سليمان الحكيم: «الصدّيق يسلك بكماله طوبى لبنيه بعده» (أمثال ٢٠:٧).

إنّ موهبة صُنع الرحمة أعلى من قدرة إقامة الأموات.

لمن تقدم الصدقة وبأي طريقة:

+ للأشرار أيضًا :

حينما نقدّم صَدَقة، لا نمتحن حياة ذلك الذي نُقَدِّم له هذه الصَدقة، ولا نسأل عن سلوكه. لأجل هذا تُسمَى رَحمة ، فعلينا أن نَرحَمَ أيضًا هؤلاء غير المستحقين. الرحمة الحقيقيّة هي تلك التي تُقَدَّم إلى الخطأة والمذنبين، لأنّ الرحمة تعني أن نرحم ليس فقط هؤلاء الذين حَـظُوا بالفضيلة وإنما أيضًا هؤلاء الذين أخطأوا.

+ بدون تمييز لأحد:

إنّ الرحمة هي ميناء لكل الذين هم في احتياج، والميناء يقبل الجميع، ويخلّصهم من الخطر، بصرف النَظَر عن نوعيّة الغَرقَى. حتى لو كانوا أشرارًا فهو يقبلهم في أحضانه. وأنتَ إذًا حينما ترى على الأرض إنسانًا سَقط في غرق الفقر، فلا تدينه، ولا تجعله يقرّ بذنوبه، وإنما أوقف هذه الكارثة (أي الفقر). فلا نَقُل أنّ ذاك شرّير ولا يستحقُ أن نَصنع المعروفَ معه. فلا ننظر إلى مَن يحتاج إلى العناية، وإنما إلى حاجته فقط. حتى لو كنّا نَزدَريه. فإنّ المسيح سوف يحسب لك الجزاء، كما لو كان هو الذي صُنِعَ معه هذا العمل الصالح في شخص الفقير. وحتى لا ننظر إذًا نحو هؤلاء الذين نصنع معهم الرحمة، إسمع ما يقوله الربّ: «لأنّي جعتُ فأطعمتموني» (مت٢٥:٣٥). «بما أنّكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥:٤٠).

+ بدون احتقار للفقير :

لا تحتقر الفقير حينما تراه، فهو حُرٌّ مثلك وله نفس أصلك النبيل (أي على صورة اللّه ومثاله) ولكن للأسف فإنّ ذلك الذي تحتقرُهُ وتعامله بأسلوب أقَلَّ احترامًا من تعاملك مع الكلاب. هذا الفقير سيُساندُكَ في يوم الدينونة وَسَيُنقذُكَ من الجَحيم.

+ بدون غضب بل بفرح:

ينبغي أن يكون العطاء بفرَح: «لأنّ المُعطي المسرور يحبّه الرّب» (٢كو٩:٧). فيجب ألاَّ نَغضَبَ إطلاقًا بسبب الزّائرين (الذين يسألوننا)، فإنْ كُنّا نقدر أن نخَفِّفَ وطأةَ فقرهم فلنفعل ذلك بفرح وسرور، وليس كمن يخسَر شيئًا وإنما كمن يربح هو من ذلكَ الكثير. وإن كُنّا لا نَقدر أن نُقَدِّم لهم الصَدقَة فلا نكن قُساةً، ونتصرّف معهم بعنف، وإنما نقدّم لهم خدمتنا، حتى ولو بالكلام، لنتكلّم معهم بتسامح ولطف. فكيف نحزن إن كان الفقراء هم أطباءُ نفوسنا، لأنّك لا تُعطي بمقدار ما تأخذ، فأنتَ تُعطي أموالاً ولكنك في المقابل تحصل على ملكوت السموات.

+ أن تكون بالخفاء:

أنتَ ترحم أخاكَ بحسب قدْرَتكَ ، أغلِق الأبواب، فليَعرِفكَ فقط

هذا الشخص الذي صَنعتَ معه الرحمةَ. وإن أمكَنَ حتّى هذا ألاّ يَعرفَ مَنْ قَدَّمَ له الرحمةَ. فلا تنسَ أنّ الإنسانَ الذي توقّعتَ منه المديح قد ينتقدُكَ. لأنّك تسعَى أن تنشُرَ رحمَتَكَ بين الناس. ولكنّ ذلك الإنسان لن يقولَ إنَّكَ رحيمٌ بل يقولُ إنّك قدّمتَ الرحمةَ زُهوًا وفخرًا، فالنتيجةُ معكوسةٌ وقد تُسيءُ لكَ. والمجدُ أيضًا يكونُ في نفس هذا الإتجاه.

+ المعيار ليس الكمّ وإنما الرغبة في العطاء:

الرحمة التي نصنعها لا تُقاس بكم العطاء، وإنما بالرحمة والرغبة في الجود والسخاء. (مر١٢:٤٣-٤٤). قد لا يصنعَ الرحمةَ الذي لديه ثروةٌ كبيرةٌ، وإنما الذي لديه رغبةٌ قويّةٌ في صُنع الرحمة، لأنّ الأرملة التي ذُكرَت في الكتاب المقدّس، قد ألقَت فلسين فقط في الصندوق، ولكنَ مع ذلك تجاوزت أولئك الذين يفتخرون بغناهم (مر١٢:٤٢-٤٣، لو٢١:٢-٤)، والأرملة الأخرى في صرفة صيدا قد استضافت النبي إيليا بقليل من الدقيق والزيت (١مل١٧:٨-٢٤). وفي هاتين الحالتين لم يكن الفقر عائقًا.

هذا المثال (الأرملة التي أعطت فلسين) ينبغي أن يكون أمام أعيننا نذكره باستمرار، حتى أنّ الفقير حينما يرى كيف أنّ الأرملة قَدّمت فلسين فقط، لا ييأس بسبب فَقْره.

فلصنع الرحمة لا نحتاجُ لأيِّ شيء غير الرغبة الحَسَنة. فلو ظَننتَ أنّ العَطاءَ يكونُ بوفرة الأموال، وامتلاك البيوت ، إذًا فاقرأ كلمات السيّد المسيح التي قالها عنَ الأرملة (لو٢١:٢-٤)، فلا تُكلّف نفسكَ عناءً. وذلك لأنّك حتى لو كنت فقيرًا جدًا وأفقَر من أولئك الذين يسألونَ الحاجَةَ، فإنّ الفلسين (قرشين) إذا قدّمتهما فقد قَدّمتَ كُلّ شيء، حتى ولو أعطيت قطعة خبز من الشعير، فتكون قد أنجَزتَ معنى الرحمة.

قد كان لدى التلاميذ خمسُ خبزات وسمكتان، وكانوا يعتبرون هذه الأشياء الجسديّة غير جوهريّة، وكانوا ملتصقين بالرّوحانيات. ولم يحتفظوا بهذه الأشياء القليلة لأنفسهم، ولكنهم قدموها، حينما طلبها المسيح. وبالتالي فإنّه يجب أن نتعلّم منْ هذا إنه لو ملكنا القليل فيمكن تقديمه لذوي الحاجة.

نتائج غياب عمل الرحمة:

+ مَن لا يصنع الرحمة يُعتَبر مَيّتًا :

إنّ الوقت الذي لا نصنع فيه الرحمة، فهو وقتٌ يعتَبرُ هدرًا في حياتنا.

+ غياب الرحمة يقود الى الجحيم :

إن فعل الخطيئة يقود إلى الجحيم، ولكن ليس الأمر عند ذلك فقط، وإنما غياب الفضيلة أيضًا يؤدّي لنفس النتيجة. لأنّ هؤلاء الذين لم يُعطوا طعامًا للجوعان، ولم يُعطوا شرابًا للعطشان، ولم يقدّموا ملابس للعريان، هؤلاء لم يسرقوا، ولم يكونوا جشعين، ولم يغتصبوا خيرات ليست مُلْكهم، ولكن لأنّهم لم يفعلوا رحمةً، لهذا فهم يُسلَّمونَ إلىً الجحيم الأبدي، وإلى عقاب لا نهايةَ له. ومن هذا نتعلّم أنّ الخلاص ليس فقط الابتعاد عن الخَطيئة، بل مقرونًا بعمل الصلاح وممارسة الفضيلة.

+ مثال الغني ولعازر :

الرّجُل الغنيّ عندما حَلَّ عليه المساء، **أي الموت** ، وخَرَجَ من «**مسرح**» الحياة الحاضرة، وخَلَع قناعه، انكَشَفَ أنّه كان من أفقَر النّاس في ذلك العالم الآخر، وكان فقره مُدقعًا حتى أنّه لم يَكُن يملك قطرة ماء واحدة، ولكنه اضطُّر أن يطلبها بإلحاح، ومع ذلك لم يحصل عليها بتوسّلاته. أيُّ فقر أشَدّ من هذا الفَقر ؟ لقد رفع عينيه وقال لإبراهيم: «يا أبي إبراهيم إرحمني وأرسِل لعازر ليبلّ طرف إصبعه بماء ويُبَرِّد لساني» (لو١٦:٢٤).

فَرُبّما الرّجُل الغنيّ كثيرًا ما كان يقول لنفسه: «لماذا احتاج إلى الرأفة والفضيلة ؟ إنّ كلّ شيء يتدفّق بين يَدَيَّ بغزارة كما من نبع، وها أنا أتمتّع برخاء عظيم ورفاهيّة كبيرة. أنا لا تواجهني أيّة مصائب أو أحزان. فلماذا أسعَى في إثر الفضيلة ؟ هذا المسكين الذي يعيش في البرّ وحياة التقوى (لعازر)، ها هو مع ذلك يُعاني من مشاكل لا حَصر لها».

حتى الآن هناك أناسٌ كثيرون يعبرون عن أفكار كهذه. لذلك ولكي يقضي الربّ على هذه الآراء الخاطئة أظهَرَ للغَنيّ أنّ العقوبة تنتظر الأشرار، وأنّ إكليل المجد ينتظر الأتقياء.

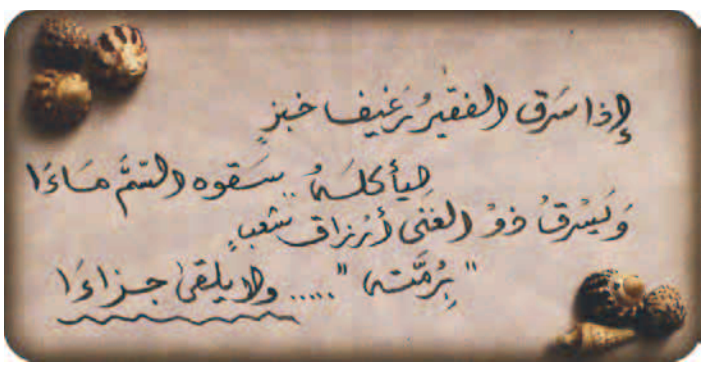

يدعونا الشاعر إلى تعزيز الثقة باللّه، والاعتماد عليه، وأن يُفَوِّض له الأمر، بصدق، وبقناعة الزّاهدين، وصبر التّائبين، فيقول:

إذا كُنتَ ترجو اللّهَ فَاقنَع بهِ

فَعِندَهُ الفضلُ الكثيرُ البشيرْ

مَن ذا الذي تلزمُهُ فاقةٌ

وَذُخْرُهُ اللّهُ العليُّ الكبيرْ

في الأهواء التمانية

لأبينا القديس كسيانوس الرومي

٦ ـ في الكسل والتواني

نقله الى العربية:
الأب منيف حمصي

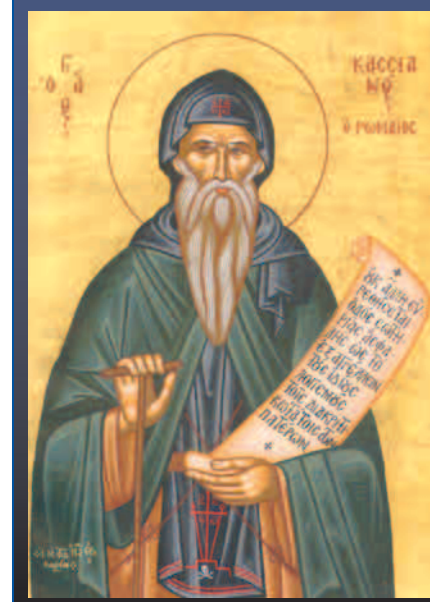

وجهادُنا السادس هو ضدّ شيطان الكسل. وهذا الشيطان يتعاون بصمت مع شيطان الغمّ والحزن والاكتئاب. إنه شيطانٌ صَلِف، قاس، يهاجم الراهب بلا هوادة، وعلى الدوام، ويُنزل عليه عند الساعة السادسة (منتصف النهار) فيجعله خمولاً وخائفًا، ويوعز له بالحقد والكراهية ضدّ رهبان الدير، وضدّ كلّ الرهبان، وايضًا ضدّ كلّ عمل صالح. لا بل يوعز له ان يُقْلِعُ عن مطالعة الكتاب المقدّس، ويحرّضه على مغادرة الدير الى مكان آخر، وانه اذا لم يفعل هكذا، فإنّ جهودهَ كلّها تضيع سُدًى.

الى ذلك، فإنّ هذا الشيطان يُوَلِّد في الرّاهب عند السّاعة السادسة (أي في منتصف النهار) جوعًا كما لو انّه لم يأكل منذ ايام، او انه لم يأكل بعد مسيرة شاقّة، او بعد عَمَل مُضن. وبعد ذلك يجعله يفكّر كما لو ان غَلَبة هذا المرض امرٌ غيرُ ممكن، الا اذا تردّد على الاخوة وزارهم في قلاليهم، وذلك بقصد تقديم العون والمساعدة لهم، وعيادتهم اذا كانت امورهم لا تسير كما يجب. وعندما لا يستطيع ان يضلّل الراهب، من هذا القبيل فإنّه يحرّضه على النوم العميق. باختصار، تُصبح هجماته اكثر بطشًا وضراوة. في مثل هذه الحال، لا يُمكن التَّغَلُّب على هذا الشيطان إلاّ بالصلاة، وتَجَنُّب الكلام غير الضروري، ودراسة الأسفار الإلهيّة، والصبر الدّائم على الشدّة والتجارب. واذا وَجَدَ ابليس أنّ الراهب هذا غير مسلّح، يرميه بسهامه، فيجعله يهيم على وجهه كسولاً متوانيًا، فتراه ينتقل من دير الى دير، لا يفكّر إلاّ فقط بما يأكل ويشرب. وعقل الكسول يعجّ بالشّرور والتّشتّت. وفي النهاية نراه يعلَق بفخاخ دُنيويّة، الى أن يترك الدير ويهيم على وجهه في العالم.

ولما ادركَ الرّسول خطورة هذا المرض، شَرَعَ يحضّنا متمنيًا ان نستأصله من نفوسنا، ونقف على اسبابه فينا، فيقول: «وأوصيكم يا اخوتي باسم ربّنا يسوع المسيح، ان تجتنبوا الأخ الذي لا يسلك على نحو لائق حسب التقليد الذي تعلّمتموه منّا. لأنّكم انتم انفسكم تعلمون كيف ينبغي ان تَقتَدوا بنا لأنّنا لم نَسلُك هكذا عندما كُنّا بينكم» (٢ تس ٣:٦-١٢).

ويجب ان ننتبه بكم من الدّقة والوضوح يصف لنا الرّسول الإلهيّ اسباب الكسل. فالذين لا يعملون، يسميهم متصلّفين، وبذلك يُعبِّر عن عدد الاخطاء والعيوب بكلمة واحدة. المتصلّف يُعوزه الوَقار، وفي العادة هو كثير الكلام، وَمُستَغِلٌ للآخرين، ولا يَصلُحُ لحياة الهدوء والسكينة، لأنّه عبدٌ للكسل. لذا فالرّسول بولس يدعونا ان نتحاشَى مثل هذا الإنسان، وان نعزل انفسنا عنه كما لو كان وباءً فتّاكًا. أمّا عبارة «وليس حسب التعليم الذي تعلّمتموه منّا» ففيها يوضح الرّسول ، ان هؤلاء متعجرفين وانهم يدوسون التعاليم الرّسوليّة. ومن جديد يقول: «ولم نأكل خبزًا مثل هذا الانسان كما لو انه عطيّة مجانيّة وذلك لأنّنا تعبنا ليلاً ونهارًا». معلّم الأمم ، بوق الكرازة بالانجيل، الذي اختُطِفَ الى السماء الثالثة يقول: «أنَّ مَن يُنَادي بالانجيل، من الانجيل يعيش» (١كو٩:١٤). وهو نفسه كان يعمل ليلاً ونهارًا كي لا يُثَقِّل على احد. تُرى ماذا يُقال فينا نحن المتوانين في أعمالنا، الذين لم يُوكَلْ الينا امرُ تبليغ الانجيل، والاهتمام بأمور الكنائس، بل أُنيطَ بنا فقط أمر العناية بأنفسنا ؟ ويتابع الرّسول فَيُبَيِّن لنا المخاطر التي تتولّد من الكَسَل والتواني، فيقول: «الذين لا يعملون البتّة، المنشغلين بأنفسهم». الكسل يُوَلِّد الفظاظة، وهذه بدورها تُوَلِّد المشاكسة والعناد. اما هذه الأخيرة فَتُوَلِّد سائر الشّرور الأخرى. ويُقَدِّم الرّسول الدّواء لهذا الدّاء فيقول: «... ونوصي هؤلاء ان يعملوا بهدوء وان يتناولوا خبزهم» إلاّ أنّه يُبَيِّن لاحقًا امورًا اخرى فيقول: «لأنّ مَن لا يعمل لا يأكل».

والآباء القديسون في بريّة مصرَ، الذين على اساس هذه التعاليم الرّسوليّة، لا يجيزون للرهبان ألاّ يعملوا، سيّما الشباب منهم. فهم يُدركون جيّدًا ان المثابرة على العمل تَطرُد الكَسل، وتمدّ يد العون لمن هو محتاجٌ. لقد عاشوا من عرَق جبينهم، ودأبوا على تقديم العون لكل ضيف ومحتاج، للمسكين وللمسجون، مؤمنين أنَّ المحبّة ذبيحة مقدّسة مرضيّة لله. وهم انفسهم يقولون أنَّ مَن يعمل يهاجمه شيطانٌ واحد، أمّا الذين لا يعملون فهم عبيدٌ لآلاف الارواح الشرّيرة.

ويليق بنا ههنا الآن ان نتذكّر **القديس موسى الحبشي** احد اعظم آباء البريّة خبرة. هذا ذهبتُ اليه: لم اكن قد امضيتُ زمانًا طويلاً في البريّة عندما حاربني شيطان الكسل والتّواني. وقلتُ له: لقد تأطّتُ كثيرًا بالأمس وانهكني التّواني. فلم اعُد اقدر ان اتخلَّص منه الى ان ذهبتُ لرؤية الاب بولس. فأجابني الأب موسى وقال: لقد رَضَختَ لهذا الدّاء في سَعيكَ للانعتاق منه واصبحتَ له عبدًا، لابدّ انّه سوفَ يُهاجمك بشراسة اكثر. وضراوة اشَدّ، وذلك لأنّك تخليّت عن موقعك، يكفي ان تعود وتجاهد، كي تُخضعه بالصّبر والصلاة وعمل اليد .

عظة في مديح القديس الرسول بولس

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

رئيس أساقفة القسطنطينيّة

الإنقلاب العجيب في حياة بولس الرسول

إنّ **الرسول بولس** وكمثال لإستفانوس ـ الذي واجَهَهُ وأعداؤه محيطون به يريدون قتلَه بل كانوا متحمسين لنهش جسده وعظامه ـ لم يسعَ بولس نحو المخاطر، ولم يسقُط أيضًا في الجُبن أو يهرب. كانت حياته ثمينة عنده بسبب الفُرَص الصالحة التي أعطيت له، وفي نفس الوقت كانت رخيصة عنده بسبب اشتياقه للسماء والاتحاد مع المسيح هناك.

وكما ذكرتُ عنه ولازلتُ أقولُ : لا يوجد من هو أكثر تناقضًا في ميوله مثله. فهو مستعد دائمًا لأخذ الجانب الذي يمنح المميزات الأكثر، فلا يوجد من أحبَّ الحياة هنا على الأرض مثله، وعلى النقيض الآخر ولم يُفكر في الحياة هنا كثيرًا، حتى ولو قارنته بهؤلاء الذين تخلوا عن هذه الحياة. لقد جَرَّد نفسه من كل الشهوات البشرية، فلم يربطه شيء على الأرض، فكان كل كيانه متحدًا بمشيئة الله. تارة نراه يفكر في أن الحياة على الأرض والخدمة أكثر حاجة من أن يكون مع المسيح، ومرة أخرى نجده يئن ويطلب اللحظة التي فيها يخرج من الجسد، فكانت أمنيته الوحيدة أن يكون فيما يحقّق له الربح الوفير مع المسيح حتى ولو كانت النتيجة عكس ما بدأه.

كان إنسانًا ذا نواح عديدة وأوجه كثيرة، ولا أعني بذلك أنه متصنعًا، حاشالله. ولكنه صار لكل الناس كل شيء، وكل ما تَتَطَلّبه احتياجات الإنجيل وخلاص البشرية. فصار بذلك مُتشبهًا بمعلمه (السيد المسيح). اللّه نفسه ظهر كإنسان حينما تطلب الأمر ذلك، وظهر في العهد القديم كنار عندما اقتضى الأمر. نراه في زيِّ المحارب المستعد، أو في إحتياج الرجل المسن، أو في نسمة الريح، أو كمسافر كإنسان حقيقي وفي هذه الحالة لم يرفض الموت. وإني أجدُ ضرورة تكرار عبارة «حينما لزم الأمر» لئلا يظنّ أحد أن الله مُلزمٌ أن يفعل ذلك، بل فعل كل تلك الأشياء من نبع حبّه للإنسان. تارة جلس على عرش، وأخرى على الشاروبيم ، وعمل الله ذلك حسبما تَطَلَّب الأمر في ذلك الوقت. وبولس إذ تمثل بسيّده لا نلومه، إذ نراه مرّة كيهوديّ ومرّة أخرى كأُمَميّ، مرّة يدافع عن الناموس وأخرى ضدّه، تارّة يَتَمَسَّك بالحياة الحاضرة وأخرى يستخفّ بها، تارّة يطلب مساعدته في الاحتياجات وأخرى يرفض العطايا، تارّة يقدّم الذبائح وَيَحْلق رأسه وأخرى يعتبر من يفعل ذلك أناثيما (أي محرومًا)، تارّة يسمح بالختان وأخرى يُحاربه ويمنعه.

فأعمالُ بولس تُظْهر خارجيًا نوعًا من التناقض، ولكن الهدف والحكمة وراء ما عمله مَقْنِعٌ جدًا حسبما يَتطلّب الموقف. كان شغله الشاغل واهتمامه الأوحد هو خلاص من سمعوه ورآهم، وبالتالي مَدَحَ مرّة الناموس، وأخرى قَلَّلَ من أهمّيته، ربما كان في أعماله وأقواله بعض التناقض والتعقيد ولكن بقي ذهنه وشخصيته بلا تغيير، فاحتفظ بشخصيته وكيانه بل حتى كلامه في كل المواقف. ومن أجل هذا يجب مدحه وتعظيمه.

علاجُ الطبيب يختلف كل مرّة، فهو يُشَخِّصُ ثمَّ يحدِّدُ لو وَجَبَ الأمر نظامًا غذائيًا معينًا، أو يأمر ببعض العقاقير، أو يمنع بعض المأكولات والشراب. يترك بعض الجراح بلا تضميد بينما يضمِّد أُخرى. يصف بعض المياه الباردة للحمَّى فلا يُحاسَب الطبيب على وحدة طُرُق العلاج، أو على التغيير المستمرّ للطُرُق، بل بالأحرى نمدحه بسبب مهارته حينما نجده يصف العلاج بكل ثقة ويقين ويضمن الشفاء. فنعتبر مثل هذا الرجل خبيرًا وَمُحَنَّكًا في مهنته. فإذا ما مدحنا طبيًا ينوّع طرق علاجه، فيجب علينا مدح شخصية بولس الرسول في تعامله مع المرضى، لأن مريض الروح يحتاج لطرق علاج مختلفة لا تقل شأنًا عن مريض الجسد، لأنه لو تمّ علاجهم بطريقة واحدة مُبَرْمَجَة لفقدوا خلاصهم.

نتعجب من الذين يفعلون ذلك، لأنه حتى اللّه كليّ القدرة يستخدم أساليب عديدة للعلاج، ولا يعتمد على طريقة واحدة مباشَرَة ، فهو يريد صلاحنا النابع عن حُرّية إرادتنا بلا أيّ ضغط أو كراهيّة. ولذا يستخدم أساليب متنوعة للتَّقَرُّب منّا ، وذلك ليس عن عجز ما في قدرته، بل على العكس من أجل ضعفنا. فإشارة صغيرة منه أو حتى مجرّد تَحَرُّك الإرادة لديه كفيلٌ بتحقيق كل مشيئاته، لكنّنا أحيانًا لا نُسَلِّم حياتَنا في يدَي الله بكل تفاصيلها، بل نُفَضِّل أن نكون سادةً لأنفسنا. فإن أُجْبِرْنَا على فعل أشياء ضدّ رغبتنا يعني أنه سيأخذ منّا ما أعطانا، أي الإرادة الحرّة، وحتى يَتجنَّبَ فِعْلَ ذلك فهو يُنَوِّعُ من طُرُقه وأساليبه.

ملاحظاتي هذه ليست عشوائيّة، بل تَشْرَح صعوبة حكمة بولس الرسول، وبالتالي عندما تجده يهرب من المخاطر ستمدحه بنفس المقدار حينما يواجهها، في الأولى يرى ذلك حكمة وفي الثانية شجاعة. وفي استخدامه الكلام بافتخار يحمل نَفْس معنى التواضع، في الأولى يتحدث بتمييز وفي الثانية بوداعة، امدحوه

في كل الأحوال على أعماله الصغيرة والكبيرة. فمرّة تَجدُ نفسه صريحة بلا نفاق، وأخرى نجد روحه تحمل كلّ الحب والعطف، وهدف كل أعماله وميوله هو خلاص نفوس الجموع وبالتالي يقول: «لأنّنا إن صرنا مُخْتَلِّين فللَّه. أو كنّا عاقلين فَلَكُم » (٢كو ١٣:٥).لا نجد شخصًا آخر لديه سببٌ للافتخار وفي نفس الوقت خال من أيِّ كبرياء وتمجيد. تأمّل في كلماته: «العلم ينفخ» (١كو ١:٨) كلمات يلزمنا جميعاً اقتناءها. ولكن بالتأكيد كان هو أكثر من أي إنسان آخر ذا علم أو معرفة، وهذا لم يجعله متكبرًا بل متواضعًا: «لأننا نعلم بعض العلم» (١كو١٣:٩)، و «أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت» (في٣:١٣)، «فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئًا فإنه لم يعرف شيئًا بعد كما يجب أن يعرف» (١كو٨:٢). الصوم أيضًا قد ينفخ النفس بالكبرياء، كما قال الفريسي: «أصوم مرتين في الإسبوع» (لو ١٨:١٢)، ولكننا نجد بولس الرسول يدعو نفسه لا فقط وقت الأصوام بل وهو في اعياء الجوع «كأنه للسقط» (١كو١٥:٨).

لماذا نتحدث عن الحكمة والصوم؟ فإنه بالرغم من كونه متقربًا من الله خلال الصلاة أكثر منْ أيٍّ منَ الأنبياء والرّسل إلاَّ أنه كان أكثر وَداعة وتواضع. لا تقولوا لي عما كتبه في رسائله لأن ما احتفظ به في داخله أكثر مما أفصح عنه فلم يَبحْ بكل ما في داخله حتى لا يُتهم بالافتخار، ولكنه أيضًا لم يلتزم الصّمت في كلّ شيء، لأن هذا سيقيم عليه ألسنة الأنبياء الكذبة ضدّه. فلم يفعل شيئًا بطريقة عشوائية، ولكن كلّ شيء كان بنظام وتخطيط جيِّد. فكلّ أعماله بجوانبها المتعدّدة تتميّز بالمديح (العالمي) من الجميع، دعني أستفيض في ذلك، إنه لشيء جيّد عدم الافتخار بالنفس، ولكن بولس تكلم بتلقائية شديدة حتى أنه مُدح على كلامة أكثر من لو بَقيَ صامتًا، لأنه لو التزم الصَّمت لاستحقَّ النَّقد أكثر منْ هؤلاء الذين يمدحون أنفسهم بخَزْي، لو لم يَتغنَّ بأعماله لَفُقِدَ كلّ شيء ولَقَويَ أعداؤه. لقد عَرَفَ كيف ينتفع من كلّ فرصةَ متاحة وبالطريقةَ الملائمة عَرَفَ ما هو خطأ، ولذا كَسبَ مجد طاعةً الوصيّة.

اكتسَبَ بولس مجدًا بافتخاره أكثر ممن اكتسبه أيّ شخص آخر أَخْفَى أعماله الصالحة، لأنه لا يوجد شخصٌ آخر أَخْفَى أعماله الصالحة، ونال ما حصل عليه بولس الرسول بالكلام (بالافتخار). الأمر العجيب ليس في أنه تحدّث عن نفسه، ولكن أنه تحدَث بالقدر الملائم الصحيح، فلم يَستَفض في وصف المواقف الصّالحة حتى لا يقع في مدح النفس، لكنه عرف متى وأين يتوقف. ولم يفعل ذلك إرضاءً لنفسه، ولكنه وصف نفسه كمختَلٍّ ليوقف الآخرين عن الانغماس في مدح النفس من أجل المديح فقط، لأنه فعل ذلك فقط في المواقف التي تطلبت ذلك.

كثيرون ممن تطّلعوا إليه أرادوا التَّمَثُّل به بلا تفكير أو تمييز، هذا يحدث أيضًا في مجال الأطباء فنجد ما يصفه الطبيب بعناية لشخص ما، يستخدمه الآخر باستهتار فيفقد تأثيره وفاعليته. ولتجنبً المزيد من الصعوبة، لاحظْ كيف أحاط بولس الرسول ممارساته وأفعاله بحدود عظيمة مؤجلاً مدح النفس لا مرّة ولا اثنتين بل مرّات عديدة قائلاً : «ليتكم تحتملون غباوتي قليلاً» (٢كو ١١:١) وأيضًا:« الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الربّ بل كأنه في غباوة في جسارة الافتخار هذه ...في غباوة أنا أيضًا أجترىء فيه» (٢كو١١:١٧-٢١). ولم يجد هذا القول ملائمًا ولكن في رفضه نزعةَ الافتخار يخفي شخصيته قائلاً: «أعرف إنسانًا في المسيح» ، وأيضًا «من جهة هذا أفتخر ولكن من جهة نفسي لا أفتخر إلاَّ بضعفاتي»، وبعد كل ذلك يضيف قائلاً: «قد صرت غبيًا وأنا أفتخر. أنتم الزمتموني» (٢كو ١٢:٢،٥،١١).

بولس الرسول

حينما نرى هذا الرجل القدّيس يرفض ويتردّد كثيرًا في الافتخار بنفسه حتى حينما يقتضي الأمر وَيُلْزِمْه بذلك دائمًا يَلْجُم حديثه، كحصان جامح ينحدر من على قمة جبل، مستخدمًا أقل الكلمات الممكنة، فَمَنْ يمكنه التجاسر والحمق في أن ينغمس في مدح النفس بدلاً من ترشيد هذا الافتخار عند الضرورة القصوى إن اقتضى الأمر؟.

أتريد أن أقول لك عن ميزة أخرى فيه؟ إننا نُعجَب ليس فقط بشهادة الضمير، بل في ارشاده لنا في السلوك في كل تلك الظروف. أنه يعتذر من الافتخار بنفسه لأن الحاجة أَلْزَمَتْهُ بذلك ولكنه أيضًا ينتهز تلك الفرصة لُيعلّمنا ألاّ نُضَيِّع هذا الموقف لو حدث ذلك ولا أن نجتذبه بالقوّة للمدح. أن هدف ملاحظاته هنا توضيح أنه لَشَرٌّ عظيمٌ الانغماس في الحديث عن النفس. أيها الأحباء إنها علامة غباوة عظمى مدح أعمالنا بلا ضرورة، أو بدون سبب ملزم لذلك. فمثل هذا الكلام لا يتوافق مع السيّد الربّ ولكنّه علامةٌ حقيقيةٌ تجرّدنا من كل ما اقتنيناه بتعب وجهاد. فمثْلُ هذا التحذير وَجَّهَهُ لجميعنا وخاصة حينما أُلْزِمَ على الحديث بافتخارٍ عندما أَلْزَمَتْهُ الحاجة.

الحقيقة التي تسترعي الانتباه، أنه لم يتحدَّث بصراحة عن كل شيء حينما تتطلب الموقف ذلك ولكنه نجح في إخفاء الجزء الأعظم من إنجازاته.«فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. ولكني أتحاشى لئلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني» (٢كو١٢:١،٦)، هذه الكلمات دَرْسٌ لنا، تُعَلّمنا ألا نُفْصح كّل شيء عن أنفسنا حتى لو اضطررنا للكلام، ولكن نتحدث فقط عمّا سيفيد سامعينا. هكذا أيضًا فعل صموئيل، لأنَّ لا شيء يمنع مدح ذلك الرجل البار حتى نستفيد كلّنا منه، فهو أيضًا افتخر في بعض المواقف، وتحدث عن أعماله الصالحة، ولكن بأي طريقة وأسلوب؟ تحدث فقط ليفيد سامعيه، فلم يُسْهب في الحديث عن الوداعة والتواضع ومسامحة الإساءة. ولكن عمّا

تحدث؟ تكلَّم عمّا احتاجه الملك في هذا الوقت عن العدل وعن حفظ النفس من الرشوة. داود أيضاً افتخر بنفسه في نطاق فائدة سامعيه فقط، فلم يخصّص فضيلة معينة، ولكنه قاتلُ أسد وَدُبٍّ لا أكثر (١صم١٧: ٣٤). الحديث بلا داعٍ يكشفُ عنً طموح وافتخار (كبرياء) ولكنَّ الالتزام بما يَتَطَلَّبه الموقف يشبه عمل صديق يُشْبِع احتياجات صديقه دائماً.

هكذا فعل بولس الرسول، اتَّهَمُوه بأنّه ليس رسولاً وليس له قوّة خارقة ، فلم يَكُن الأمرُ دليلاً على صحة رسوليّته واظهار قيمته، لاحظ كيف لم يكن في حديثه أيّ كبرياء بل الاستنارة لسامعيه:

١): وَضَّحَ انه تصرف هكذا كما ألزم الأمر.
٢): دعا نفسه مُخْتَلَّ العقل واستخدم تعابير مماثلة كثيراً.
٣): لم يفصح عن كل شيء بل احتفظ بالجزء الأعظم وأخفاه.
٤): أخفَى شخصيته قائلاً: « أعرف إنساناً.....».
٥): لم يُظْهِر كلّ فضائله كدليل بل أظهَرَ ما تتطلب الأمر .

احتفظ بهذا التوازن بين افتخاره لنفسه وعدم مدحه الآخرين، لأن توبيخ الآخر وادانته شيء مرفوض، ولكن بولس وبَّخ في أوقات معينة جديرة بالثناء، حتى أنّها ظهرت كالمديح؛ مثلاً مرّة أو مرّتين دعا «الغلاطيين أغبياء» (غل٣: ١) و «الكريتيّون كذابون وحوش ضاربة بطون بطالة» (تيطس١: ١٢)، وجعل هذا نصاً في كرازته.وكقدوة لنا أسَّس تعريف قانون التعامل مع من هم ضدّ الله، وعدم التَّرَفُّق بهم ، ولكن علينا اختيار الكلمات التي تصيب الهدف.

وضع بولس في الواقع قوانين عديدة لكل شيء، فكلّ كلماته وأعماله مقبولة، سواء كانت مدحاً أم توبيخاً قاسياً أو مترفقاً في افتخار بالنفس أو التقليل من شأنها، في مدح أم ذم، ولماذا نتعجب لو كان التوبيخ يستحق المديح، لو كان ضدّ القتل والخيانة والخطيئة ونجده مستخدماً في العهد القديم والجديد؟ لنتأمل كل تلك الأمور بعناية ودقة لنمدح بولس الرسول، ونمجد الله ونقتدي به لنحصل على البركات الأبدية بالنعمة، وبصلاح ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة الآن وإلى الأبد وأبد الآبدين .

التقدمة في القداس الإلهي

أثناء القدّاس الإلهيّ، يُعلنُ الكاهنُ قائلاً: «التي لكَ مما لكَ نُقَدِّمها لكَ على كل شيء ومن جهة كلّ شيء». نحنُ نُقرُّ ونعترفُ أنّ كلّ ما لدينا آتٍ من اللّه كما تقولُ حكمةُ يشوع بن سيراخ: «أعطِ العليَّ حسبَ عطيّته» (بن سيراخ ٣٥: ١٢).

هكذا فالتقدمة هي أقدمُ ذبيحة: قايين وهابيل قَدَّم كلٌّ منهما تقدمةً للربّ (تكوين ٤: ٣-٤) فرَفضَ تقدمة الأوّل وَقَبِلَ تقدمة الثّاني. وخلال تاريخه الطويل، قَدَّم الشعب الإسرائيليُّ تقدمات للّه: بواكير، عُشُورًا ، ذبائح عن الخطيئة، وجميع هذه التقدمات كانت تهيئة للذبيحة الخلاصيّة الوحيدة، ذبيحة الربّ يسوع المسيح الذي قَدَّم ذاته «من أجل خلاصنا» (عبرانيين ٩: ١٤،٢٤).

يقول الكاهن في إفشين الشيروبيكون: «لأنّكَ أنتَ المُقَرِّب والمُقَرَّب والقابلُ والمُوَزِّع أيها المسيحُ إلهُنا». نحنُ في القداس الإلهيّ الذي نذكر فيه ذبيحة السيّد الوحيدة، لا نقدّم القرابين «رحمة سلام، ذبيحة التسبيح» وحسب، بل نقدّمُ أنفسنا وبعضنا بعضًا ومعنا الخليقة كلّها. هذه هي التقدمة التي تسمح لنا بأن نُحَقّقَ غاية حياتنا: **الشركة مع اللّه والشركة مع الآخرين**.

الترجمة السبعينيّة

هي الترجمة اليونانيّة للكتاب المقدّس، ويُرمَز اليها عادةً بالرقم الروماني الدّال على السبعين XXL . تستخدمها اليوم معظمُ الكنائس الأرثوذكسيّة مترجمةً إلى لغاتها المحليّة. نَقَلَتْ هذه الترجمةُ التوراةَ العبرانيّة إلى اليونانيّة في القرن الثالث قبل الميلاد على يد اثنين وسبعين فقيهًا يهوديًا ـ١٢ فقيهًا من كل سبط ـ في مصر فترة حكم فيلاديلفيوس بطليموس، ليضعوا رسالة الكتاب المقدّس في متناول العالم اليوناني.

إنّ مؤلّفي العهد الجديد وآباء الكنيسة قد اعتبروا الترجمة السبعينيّة هي النصّ الصحيح بالإمتياز، وقد رَجعوا اليها عادة واستشهدوا بها كما عادوا غالبًا إلى النصّ العبراني. ولذا فإنّ الرباط الذي يجمعُها مع العهد الجديد وكتابات الآباء والنصوص الليتورجيّة، يشرحُ المكانة العظمى التي تحتلُّها في التراث الأرثوذكسيّ.

الكتاب المقدّس هو كلمة اللّه المُعلَنة للإنسان لتُرشده وتُقَوِّم خُطاه في طريقه إلى الحياة الأبديّة. الكتاب هو رسالة اللّه مُسلَّمَة لنا لكل إنسانَ من خلال خبرة بشريّة باللّه، ورؤية استُعلنَت بالرّوح القُدس لأناس اللّه القدّيسين. الكلمة في الكتاب المقدّس تتجسّد في منطق بَشَري، بينما تحمل سرّ المسيح وقوّته المُخَلِّصة. فالكتاب لا يُقَدِّم لنا معرفة مجرّدة، بل قوّة مُطَهِّرة مُبَرِّرة مُقَدِّسة خالقة خليقة جديدة لحياة أبديّة.

العهد القديم ـ بشَقّيه الناموس والأنبياء ـ مَوْضُوعُهُ الخلاص الآتي بالمسيح يسوع ، «إذًا قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرَّر بالإيمان»(غلا٣:٢٤).«وعندنا الكلمة النبويّة وهي أثبت التي تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها كما إلى سراجٍ مُنير في موضع مُظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢ بط١:١٩). أمّا العهد الجديد فهو استعلان لسرّ المسيح الذي يتحقّق به خلاص البشريّة. «عظيمٌ هو سرّ التقوى اللّه ظهر في الجسد» (١ تي٣:١٦). «نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس» (١بط١:٩).

الأناجيل الأربعة هي مركز ثقَل العهدين معًا. ففيها يتحقّق كلّ رجاء العهد القديم ونبوّاته. وفيها الإيمان الذي تُعلنه كلُّ أسفار العهد الجديد، وتكشف عن أسراره. الأناجيل نفسها هي رسالة استعلان لمحبّة اللّه في شخص الابن الكلمة، «لأنّه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣:١٦).

أربعة أبعـــاد:

«ليَحِلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبَّة، حتى تستطيعوا أن تُدركوا مع جميع القديسين ما هو **العرض والطول والعمق والعلوّ**، وتَعْرِفُوا محبَّة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كلّ ملء اللّه» (أف٣ : ١٧ – ١٩). الثلاثة أناجيل المتناظرة (متّى ، مرقس، لوقا) هي ثلاثة أبعاد، الطول والعرض والعلوّ على التوالي، أمّا البُعدْ الرّابع في إنجيل يوحنّا فهو العمق وهو بُعْدٌ لاهوتيٌّ فوق الزّمن والعمق للإله الأزلي. الأناجيل الأربعة هي أربعة أبعاد من خلالها نعرف محبّة المسيح الفائقة المعرفة مع جميع القديسين. فبكلمة اللّه المُعلَنة في الأنجيل بأبعاده، نصير كنيسة واحدة في شركة القديسين نقدّم ذبيحة المسيح الواحدة، لكي نمتلىء إلى كل قامة ملء المسيح.

الثلاثة أناجيل الإزائيّة (Synoptic Gospels)

من خلال الأناجيل الثلاثة الأولى المعروفة بالأناجيل الإزائيّة *(Synoptic Gospels)* نتعرّف على شخص المسيح المتجسّد في ثلاثة أبعاد. بسبب الاختلافات الدقيقة تُعطينا الأناجيل رؤية مُجسَّدة لفكر المسيح. إنّ هذه الاختلافات حتَّمتها ظروف الكتابة، واستخدمها الرّوح القدس بحذق. لينقُل للأجيال رؤية مجسَّدة، وصورة متكاملة لشخص المسيح، حاضرًا في الزمن بكل مفاعيل الخلاص الذي أتمّه أثناء وجوده على الأرض. إنّ العين اليُمنى ترى صورة مختلفة عمّا تراه العين اليُسرى. ومن خلال هذا التباين يُمكن لنا أن نرى الأشياء مُجَسَّدة في أبعادها الثلاثة، كذلك الاختلاف الدقيق في السمع بين الأذنين يُعطي تجسيدًا للصوت فيستطيع الإنسان أن يُقَدِّر بُعد واتّجاه مصدر الصوت.

ثلاثة كُتّاب من ثلاثة مواقع، كُلٌّ له قُدارته وثقافته وانطباعاته الذّاتيّة، ورؤيته الشخصيّة. كُلُّ واحد منهم سَجَّلَ تجربته مع كلمة اللّه. كُلُّ كاتب وَجَّهَ رسالته إلى جهةٍ مختلفة. فرسالة المسيح كان من اللازم أنْ يُكرَزَ بها ؛ أولاً لليهودِ كممثلين للدّين، ثُمّ للرّومان وهم حكّام البلاد، وقاهرو الشعوب، الممثلون للفكرالسياسي والقانوني، وثالثًا للثقافة اليونانيّة المتعدّدة الفلسفات والتي كانت بفكرها العميق تُغَطّي كُلّ الأرض. لهذا كان لابدّ من كتابة ثلاثة أناجيل لتلك العناصر الثلاثة الأساسيّة التي تتحكّم في الفكر والسلوك البشري. من الطبيعي أن تتمايز هذه الأناجيل عن بعضها، ليس فقط بسبب اختلاف الكاتب وطبيعته، بل بالأكثر بسبب طبيعة المُوَجَّه لهم رسالة الإنجيل. فلابدّ من أن تتأثّر الكتابة بظروف وثقافة المُوَجَّه لهم الرسالة. فمن خلال هذه الخبرات البشريّة المتباينة، استطاع كُتّاب الثلاثة أناجيل الأولى أن يُقَدِّموا للبشريّة صورة روحيّة وفكريّة ولاهوتيّة متكاملة عن رسالة المسيح في ثلاثة أبعاد.

لم تَكُن هناك خطّة بشريّة مُدَبِّرَة لكتابة الأناجيل بهذه الصّورة ، أو توجيهها لجهة ما. بل كَتَبَ الأناجيل أناسٌ بسطاء، بطريقة عفويّة، وهم متباعدون في المكان والزّمان، ومتفاوتون في الثقافة، سجّلوا خبراتهم الشخصيّة، مُوَجِّهين رسائلهم لجهات متفرّقة من الأرض.

لم يَقصُد أيٌّ من كُتّاب الأناجيل أن يكتب كتابًا تسجيليًا أو تاريخيًا عن حياة المسيح. عندما جـال هذا التصوّر في فكر القديس يوحنا قال: «وأشياء أُخَر كثيرة صنعها يسوع إن كُتِبَت واحدة فواحدة فلستُ أظُنُّ أنّ العالم نفسه يسع الكُتب المكتوبَة» (يو٢١:٢٥). إنّ كُلّ واحد من كُتّاب الأناجيل حَشَدَ أفكاره وانطباعاته ليَشهَد للحقّ الذي تلامَسَ معه، حتى يُوَجِّه شهادته لجهة محدّدة. لذلك تخيَّر كُلُّ كاتب المواضيع المناسبة، ونَسَّقها بالترتيب الزمني للأحداث، أو الأقوال بقدر اهتمامه بتسلسل الأفكار وتداعيها، حتى يُقَدِّم شهادة واضحة عن محبّة المسيح. لذا نجد كثيرًا ما تتقدّم أو تتأخّر مواقع الأقوال من الأحداث.

لا يُمكنّا أن نعرف على وجه الدّقة الملابسات أو الدوافع للكتابة لدى كُلّ كاتب، أو لماذا وَجَّهَ رسالته لجهة معيّنة، ولكن النتيجة النهائيّة التي بين أيدينا تَشهَدُ لعَمَل مُتكامل في كُلِّ إنجيل على حدة،

وفي الأناجيل كُلِّها معًا كوحدة واحدة، ذات أبعاد غاية في العُمق. لم يَكُن في تَصَوُّر أيّ واحد مِن كُتَّاب الأناجيل أنّ كتابًا واحدًا سيجمعها ليقدّم للبشريّة **الكتاب المقدّس**. لقد اكتمل كُلّ العَمل تحت إشراف وبتدبير الرّوح القُدس، «الروح القُدس يأخذ ممّا لي ويخبركم (يُعطيكم)» (يو١٦:١٥). «لأنّه لم تأت نبوّةٌ قَطّ بمشيئة إنسان بل تَكَلَّمَ أُناسُ اللّه القديسين مَسوقين مِن الروح القدس» (٢بط١:٢١). وهكذا يُقَدِّم لنا الروح كلمة اللّه بخبرة بشريّة، بل يُقَدِّم لنا الاختبار البشري لكلمة اللّه في أبعاد ثلاثة: الطول والعرض والعلوّ (الارتفاع). ثمّ بعد ذلك في عُمقها الأخروي اللاهوتي السرائري (الإسكتولجي *Eschatology*) في الإنجيل الرابع.

الأناجيل الثلاثة تسجّل عمل المسيح على الأرض في ثلاثة أبعاد، من خلالها نرى الربَّ الكلمة جالسًا على عرش مجده، قائمًا على الأرض في الزّمان والمكان بقوّة، بكل مفاعيل الخلاص وإمكاناته. المسيح حاضرٌ في الأناجيل مع كُل جيل كواقع جديد متجدّد في الزمن، مُطَهِّر، وَمُبَرِّر، وَمُقَدِّس لكثيرين، مِن كلّ جنسٍ وأُمَّة ولسان.

أولاً ـ البُعد الطولي في إنجيل متّى:

يُقَدِّم القديس متّى الرسول في إنجيله حياة المسيح على الأرض في بُعدها الطولي من الميلاد إلى القيامة. الكتاب مُوَجَّه لليهود، لذلك فالمسيح هو المسيّا الملك الذي جاء « ليُقيم خيمة داود السّاقطة »(عا ٩:١١). ينتظر اليهود المسيح ليُقيم لهم مملكة إسرائيل على الأرض. لذلك فإنّ كُلّ أحداث الإنجيل تدور على الأرض في خط أُفقي لحساب ملكوت السماوات. فمن خلال الرؤية اليهوديّة المحدودة، يُقَدِّم إنجيل متّى المسيح الملك الذي يُقيم مملكته على الأرض في الكنيسة.

الكنيسة في إنجيل متّى هي الشبكة المطروحة في بحر العالم لتجتذب كلّ المعينين للملكوت. والإنجيل هو: «كتاب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم» (متى ١:١). ابن داود الذي يردّ المُلك لإسرائيل حسب الكُتب. وهو أيضًا ابن ابراهيم الذي تتبارك فيه جميع قبائل الأرض. فهو ابن الإنسان، الذي جاء من أجل اليهود والأمم معًا «وعلى اسمه يكون رجاء الأمم»(مت١٢:٢١). ثمّ يكشف الإنجيل عن حقيقة المسيح اللاهوتيّة، فهو عمانوئيل، اللّه معنا، فهو اللّه الحالُّ وسط إسرائيل جسديًا على الأرض. ثمّ ينتقل بتدرّج وبخطّة مُحكَمة من إسرائيل للكنيسة، ففيها المسيح حاضر اللّه مع الناس. وفيها أقام المسيح ملكوت السموات على الأرض «على هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت١٦:١٨). المسيح في كنيسته، فيها تكتمل وتتحقّق كُلّ النبوّات، حيث تقوم مملكة داود ألى الأبد، وعليه يكون رجاء الأمم. متّى هو الوحيد بين الإنجيليين الذي استخدم لفظ «كنيسة» وأعطَى للكلمة معناها.

يسير بنا الكاتب في خَطٍّ أُفقيّ ممتدّ، يبدأ بميلاد المسيح ولا ينتهي (البُعد الطولي). فيقتادنا في صُحبَته كُلّ الأيام وإلى انقضاء الدهر. «وها أنا معكم (اللّه معنا) كُلّ الأيام وإلى انقضاء الدهر» (مت٢٨:٢٠). لم يذكر القديس متّى في إنجيله خبر صعود السيّد المسيح ليَلتزم بخَطِّه الأُفقيّ. المسيح في إنجيل متّى لا يرتفع. المسيح في كنيسته قائمٌ في رفعَة الملكوت، من فوق الجبل يتكلّم، من فوق الصخور الدهريّة يُعْلِنُ ملكوته الأبديّ، فيجذب إليه الجميع.

ثانيًا ـ البُعد العَرضي في إنجيل مرقس:

إنجيل مرقس هو أقصر الأناجيل، إلاّ أنّه أكثرها إسهابًا في بعض المواقف. خصوصًا في شرح وتفصيل آلام السيّد المسيح. لم يتعرّض القديس مرقس لأحداث ميلاد المسيح، وعَرَضَ موضوع الصعود في عبارة مقتضبة. لقد رَكَّزَ الإنجيل فقط على عمل المسيح الكرازي، الذي خَتَمَهُ بالصليب والقيامة، وبذلك فإنّ إنجيل مرقس يمثّل البُعد العَرضي لاستعلان ابن اللّه وابن الإنسان للبشريّة.

يُعَرِّف القديس مرقس كتابه أنّه: «إنجيل يسوع المسيح ابن اللّه» (مر١:١). ويُعتَبر ذلك عنوانٌ واضحٌ يُفصح عن موضوع الكتاب، وبدءٌ قَويٌّ يُمَهِّد للبناء. مرقس هو الوحيد بين الإنجيليين الذي استخدم كلمة «إنجيل» وبهذا أعطَى للكلمة مفهومها ومعناها الدقيق، كما استَخدَمَ متّى كلمة كنيسة وَفَصَّل معناها.

المسيح في الإنجيل هو ابن اللّه الذي حَضَرَ إلى العالم حسب التدبير ليُعلن أُبُوّة الآب للبشريّة. ثمّ هو ابن الإنسان شفيع البشريّة أمام الآب الذي به دَبَّر الخلاص. لهذا فآلام المسيح تُشَكِّل أكثر من ثُلث إنجيل مرقس.

إنجيل مرقس مُوَجَّه للرّومان، لذلك فهو إنجيل القوّة والسلطان، قوّة اللّه المُخَلِّصة. وسلطان ابن اللّه الذي يظهر من أوّل إصحاح ويتخلّل الإنجيل كلّه حتى آخر آية فيه . «وكان يُعَلّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة» (مر١:٢٢). رَمزُ الأسد مناسبٌ تمامًا له، الصوت الصارخ في البريّة. المسيح في هذا الإنجيل هو ابن اللّه، الفارس الجالس على الفرس الأبيض «معه قوسٌ وقد أعطى إكليلاً وخرج غالبًا ولكي يغلب» (رؤ٦:٢). هذا المنهج يتناسب جدًا مع المنطق والعقليّة الرومانية. ولهذا أيضًا نجد مرقس يركّز على عدل اللّه الذي يلتقي بالرحمة في سرّ الفداء. فالإنجيل هو القانون الإلهيّ الملتزم بالعدل الذي يعرفه الرومان، المقترن برحمة اللّه التي لا يعرفها الرومان.

البُعد العَرضي في إنجيل مرقس: تدبير الآب لخلاص البشريّة الذي حقّقه الابن في سرّ الفداء.

ثالثًا ـ البُعد الرأسي أو العلويّ في إنجيل لوقا:

السيّد المسيح في إنجيل لوقا هو الطفل الإلهي «المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة» (لو١:٧٩) الذي حَضَر، ليرتفع ببشريّتنا السّاقطة إلى السماء، بجسدنا الذي أخذه من العذراء «وأجلسنا معه في السماويات». كم يتناسب هذا العَرض مع الفكر اليوناني الهيليني والهلينيستي وفلاسفتهم، الذين أعياهم البحث في مشكلة الشرّ، وكانوا مُتَطَلّعين دائمًا إلى السماء يتوقّعون حَلاً من الآلهة. فَبَشَّرهم بجمهرة الجُند السّماوي التي أعلنت الخبر «المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة».

إنجيل لوقا يتحرّك دائمًا في خط رأسي، فمثلاً يبدأ سلسلة نسب المسيح بيسوع وتتحرّك رأسيًا إلى السماء «ابن آدم ابن اللّه». بعكس إنجيل متّى الذي يسير في خط أفقي من داود ابن إبراهيم إلى يسوع.

بينما الإنسان منحدر بالخطيئة نازلٌ من أورشليم إلى أريحا، يلتقي المسيح به في أريحا تحت شجرة المعصية (زكا) ثمّ يتقدّم صاعدًا به إلى أورشليم «ليتمّم خروجه» (بالصليب) ثمّ يكمّل خلاصه بالقيامة من الأموات والصعود إلى السموات. إنجيل لوقا هو أكثر إنجيل أبرزَ موضوع الخلاص، كما أنّه أكثرهم حديثًا عن قبول الخطأة، فأظهَرَ إشفاق المسيح ،محبّته للخطأة «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخَلِّص ما قد هَلك» (لو١٩:١٠). ارتفاع المسيح في إنجيل لوقا هو: (أنافوراه) *(Anaphora)* ارتفاعٌ صاعدٌ مستمرّ المقدمة من الأرض عن حياة العالم. المسيح في الإنجيل هو الذبيحة المرتفعة بنا، وهو في وضع الصلاة الدائمة. لذلك يُرمَز لهذا الإنجيل بالثوَر. العجل المسمّن هو تقدمة الآب للابن الضّال «لهذا ينبغي أن نفرح وَنُسَرّ» (لوقا ١٥:٢٣). الذبيحة تقترن بالتسبيح وبهجة الخلاص، لذا تتقدّم الأم العذراءالصفوف لترفع ذبيحة التسبيح من أجل الخلاص «تُعَظِّم نفسي الربّ وتبتهج روحي باللّه مُخَلِّصي».الصعود والارتقاء والتسبيح والصلاة هي عناصر الارتفاع في إنجيل لوقا، فهي تربط الأرض بالسماء.

الروح القدس حاضر في إنجيل لوقا من أول إصحاح «الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تُظَلِّلُك». الروح القدس حاضرٌ في الأفق كرفيق، حتى يتسلَّم من المسيح (السامري الصالح) هذا الإنسان الجريح، كصاحب الفندق (الروح القدس في الكنيسة). لذلك كان لابدّ من تكملة هذا الفصل بالمشهد الثاني في سفر أعمال الرسل. فبعد أن رافق الروح في الإنجيل أسرار التجسّد والفداء، كان لابدّ من تكملة دور الروح القدس، كصاحب الفندق الذي تَسلَّم الكنيسة من المسيح ليتمم عمل الخلاص في الزمن.

البُعد الرأسي أو العلويّ في إنجيل لوقا: الروح القدس الأقنوم الثالث يرافق خلاصنا في سرّ التجسّد.

الإنجيل الرابع

البُعد الرابع: لقد كان ديكارت مهتمًا بفهم الوجود، وأثناء بحثه اكتشف الأبعاد الثلاثة والتي بها يمكن تحديد بدقة موقع أيّ موجد ماديّ. وبذلك أسّس ديكارت بالصدفة أحد علوم الرياضيات العملاقة، هو علْم الهندسة التحليلية. وظلّ العالم مدينًا لديكارت وأبعاده الثلاثةُ المسماة بالكارتيزيّة على اسمه وما أحدثته من آثار بالغة الأهميّة في التقدّم العلميّ. بعد ديكارت أخذ العالَم يتساءل هل هناكَ بُعْدٌ رابع ؟ اجاب على هذا السؤال بعض العلماء الرّوس في أواخر القرن التاسع عشر، حيث رأوا أنّ البُعد الزمني هو البُعد الرّابع، فهو الذي يُكَمِّل الأبعاد المكانيّة الثلاثة. وتَبَنَّى هذه الفكرة أينشتين في نظريّته النسبيّة. ولعلّ العرب أدركوا هذه الحقيقة فيما عُرِفَ بظرف المكان وظرف الزمان. فظرف المكان يحوي الثلاثة أبعَاد المكانيّة، وظرف الزمان هو البُعد الرابع.

بُعْدُ ما فوق الزمان أو العمق في إنجيل يوحنا:

إن كان الزمن هو البُعد الرّابع، فالإنجيل الرابع هو بُعْدُ ما فوق الزمان. يبدأ إنجيل يوحنا بعبارة «في البدء كان كلمة اللّه» والبدء هنا هو ما قبل الزمن. فالكلمة هو الإله الأزلي الأبدي، الذي دخَل من حاجز الزمن إلى المكان «والكلمة صار جسدًا». بمعنى آخر الإنجيل الرابع هو البُعد الإسخاتولوجي (الأخروي *Eschatology*). وهو نفسه العُمقُ اللاهوتيّ والسرائريّ لعمل المسيح الإله المتجسّد في الزمن. هناك دافعان رئيسان وَجَّهَا القديس يوحنا الرسول للخوض في هذا الاتجاه.

الدافع الأول، هو أنّ القديس يوحنّا الرسول كتَبَ إنجيله في نهاية القرن الأول، أي بعد ما يقرُب من سبعين عامًا من قيامة السيّد المسيح. عاصَرَ فيها المعجزات الباهرة لقيام الكنيسة من موقع القيادة واختبر المسيح، الذي كان قد تلامس معه وهو على الأرض، واتكأ على صَدره. ثمّ تَعَمُّق معرفته في صلَة روحيّة ورُؤى فائقة (سفر الرؤيا)، تلامس فيها مع أبديّته وأزَلِيَّته وهو على الأرض. لذا فهو يتكلّم ـ سواء في الإنجيل أو في الرسائل ـ من واقع رؤية لحقيقة المسيح الأبديّة، وَخبْرَة واختبار بسرّ المسيح الفائق على النُّطق أو التَصَوُّر والمُرتَفع عَن الزمن. «الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه ونَشهَد ونُخبركم ...» (١يو١–٢).

أما الدافع الثاني فهو الظروف الخارجيّة التي مَرَّت بها الكنيسة في تلك الحُقبة. اضطهادات مريرة من الخارج وهرطقات وانقسامات من الدّاخل. لقد كانت الهرطقات هي الدافع المباشر لكتابة إنجيله، الذي أعطَى فيه عُصارة خبرته بأسرار اللاهوت، نَقَل لنا فيها صورة منطوقة عن الحَقّ الأبدي في بساطة ساحرة مع دقة بالغة وجسارة مذهلة دون أن يخدش فيها حقائق اللاهوت.

المسيح في إنجيل يوحنا هو الكلمة الابن الوحيد الجنس الذي في حضن الآب. الرب إله إسرائيل السرمدي. إنجيل يوحنا يُظهر لنا معرفة الآب من خلال لقائنا بالابن في الروح القدس. ثم يدخل إلى عُمق الثالوث ليَنقُل لنا صورة الحُبّ الفريد بينهم. إنّ يوحنا يقوم بهذه المغامرة الصعبة ليس بلا هدف، ولكنه يُحلِّق في أعماق الحبّ الإلهيّ فيكشف عن موضع الإنسان داخل قلب اللّه. «أنا فيهم وأنتَ فيَّ ليكونوا مكَمَّلين إلى واحد وليعلم العالم أنّك أرسلتني وأحببتَهم كما أحببتني» (يو ١٧:٢٣).

عَمَلُ القديس يوحنا في إنجيله هو عمل فنان بارع صَوَّر الأبدية من واقع رؤية حقيقيّة لأسرار اللاهوت.

العُمق في إنجيل يوحنا: هو البُعد الإسخاتولوجي (الأخروي) للإله المتجسد الذي أظهر لنا أسرار اللاهوت.

أسلوب الكتابة الإنجيليّ:

الأناجيل الأربعة لها أسلوبٌ فريدٌ لاّ مثيل له في تاريخ الأدب. فلاَ يمكن إدراج أسلوبها تحت أيّ نوع من أنواع الكتابة المعروفة. فمثلاً لا يمكن اعتبارها كتابة تاريخيّة رغم أنّها تحوي تاريخًا حقيقيًا، لأنها لم تُكتَب بهدف التاريخ بل إنها تتجاوز العمل التاريخي، لتَحكُم على الحاضر والمستقبل. ولا يُمكن اعتبارها ضمن أدب السيرة، رغم أنها تحوي سيرة شخصيّة حقيقيّة، هي شخصية يسوع المسيح. وهذا لأن أدب السيرة مُرتبط دائمًا بالماضي لتمجيد شخصيّة بارزة، بينما تتخَطّى الأناجيل الماضي، وتتقدّم الحاضر إلى الأبديّة. وفيها يتمجّد الإنسان باستعلان سرّ الخلاص الذي عمله اللّه بالمسيح يسوع. كما لا يمكن اعتبارها

مجرَّد كتابة فلسفيّة أو حكمة، رغم كلّ ما تحويه من أمثال وَحِكَم، لأنّها لا تحوي فكرًا جامدًا بل روحًا وحياةً وقوّة ديناميكيّة فاعلة . لذلك اعتبر العلماء الأناجيل رسالة استعلانٍ فريدة ليس لها نظيرٌ في أنماط الكتابة الأدبيّة المعروفة.

(The new Oxford Annotated Bibel P. ix. NT)

أيّ أنجيل هو الأعظم: (مر٩:٣٣).

تقدّم لنا الدراسات العلميّة الحديثة للكتاب المقدس كلّ يوم رؤية جديدة ومعاني غاية في العُمق لم تكن معروفة من قَبل، مما جعل كثيرًا من العلماء من مختلف فروع المعرفة، تُشيد بعظمة الأناجيل الأربعة. حول كلّ إنجيل على حدَة تَلتَفُّ مجموعة من العلماء المُعجَبين به، يجمعون الأدلّة القويّة ليُثْبتُوا أنّ هذا الإنجيل هو الأعظم بين الأناجيل، بل أعظم الكتب جميعًا، وتظهر أدلّتهم قويّة مُقنعة. ولا تكاد تقرأ لمجموعة أخرى من العلماء تلتَفّ حول إنجيل آخر، فتلتقي برأي لا يَقلّ قوّة عن الأول. والحقيقة في ذلك أن كُلّ إنجيل على حدَة يُعتَبر أعظم ما كُتب في الاتجاه الذي طَرَقَهُ وفي البُعد الروحانيّ الذي تَناوَلَه. وبذلك فالأناجيل الأربعة معًا كوحدة واحدة في أبعادها الأربعة تُشكّل أعظم قوّة روحانيّة أَثْرَت العالم بفكر المسيح.

القديس فيكتريانوس الشهيد أسقف بيتو بالنمسا من آباء القرن الثالث الميلادي في شَرحه لسفر الرؤيا (ص٤) ذكَرَ أنّ الباب المفتوح الذي رآه القديس يوحنّا هو الكتاب المقدّس بعهديه. فهو مفتوحٌ أمام الجميع، «ليرى عبيده ما لابدّ أن يكون عن قريب ...» (رؤ١:١). أمّا الأربعة حيوانات الحاملة لعرش اللّه، التي رآها القديس يوحنا فهي الأناجيل الأربعة. شبه الإنسان يرمز إلى متّى، وشبه الأسد يرمز إلى مرقس، وشبه العجل يرمز إلى لوقا، وشبه النسر يرمز إلى يوحنا. والأمر لا يتوقّف عند حدّ الرمز، فإنّ الأناجيل الأربعة هي العرش الذي يتربّع فوقه المسيح قائمًا حاضرًا بسلطانه وفكره أمام البشريّة في المكان والزمان.

(ANF Vol. 7, P. 348)

من خلال الأناجيل الأربعة ترى الكنيسة المسيح حيًا جالسًا على كُرسيّ مجده «بعد قليل لا يراني العالم أيضًا وأما أنتم فترونني إنّي حيّ فأنتم ستحيون» (يو١٤:١٩). إن كان العالم لا يستطيع أن يرى المسيح إلاّ لأنه لا يعرف الأناجيل. وإن كان لا يراه إلاّ أنّه لا يستطيع تجاهله، فأثر المسيح العميق في التاريخ، وهو ضابط لكل المتغيرات. كلمات المسيح تتقدّم التاريخ وتحكم عليه بقوّة. تتغيّر المفاهيم والأعراف، تتقدّم العلوم، وتزدهر الفنون، وتتنوّع الأنشطة الإنسانيّة، وكلمات المسيح في خلفية كلّ هذا قائمة ضابطة لكل المتغيرات.

المسيح في الأناجيل الأربعة متجسّد، مرسوم أمام عيوننا ككنيسة، يصنع الإنسان الجديد، ويحقّق له حريّته من الخطيئة والخوف، والإنسان بالحريّة يصنع كلّ شيء. الأناجيل بالمسيح الحاضر فيها تصنع التقدّم، وتتحرّك بالبشريّة نحو حياة أفضل. من هذا الينبوع امتلأ كلّ عابر في الزمان طَلَبَ أن يستقيَ. «ومن يعطش فليأت ومَن يُرِد فليأخذ ماء حياة مجانًا» لكي يمتلىء إلى كُلّ ملء قامة المسيح».

	إنجيل متّى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنا
البُعد	البُعد الطولي	البُعد العرضي	الأرتفاع أو العلوّ	بُعد ما فوق الزمن
الرّمز	الإنسان	الأسد	الثور	النسّر
اللاهوت	اللّه الابن	اللّه الآب	اللّه الروح القدس	الثالوث القدّوس
السرّ	سرّ الكنيسة	سرّ الفداء	سرّ التجسّد	سرّ التدبير الإلهيّ

في طول الصلوات ـ للقديس يوحنا كرونشتادت

حينما ندخل إلى الكنيسة ننسى هموم العالم وشهواته، وفي حضرة الله نمتلئ رهبة وخشوعًا وتقديسًا. نحس (نَشعُر) داخل نفوسنا بصلَتنا بالحياة الاخرى، ونشعر ببنوّتنا لله. عندما نصغي إلى الالحان الخشوعية الصاعدة من أفواه الكهنة المقيمين الصلوات، من داخل الهيكل تجاوبها أصوات العابدين من الخارج، حينئذ يشملنا هدوء وغبطة يسريان إلى أعماق النفس.

وعندما نتابع كلمات قارئ الفصول، وهو يتلوها بصوت خشوعي مؤثّر، تنفتح قلوبنا للمعرفة، وتستنير أذهاننا بكلمات الحياة. ان هذه المشاعر كلها هي عربون لتذوق سعادة الحياة الأبدية...

حينما تُتلى صلاة طويلة على مسامع الشعب، كالقداس أو صلاة البَرَكة الأخيرة، أو غيرها من الصلوات والقراءات الطقوسية، يهمس الشيطان في أُذنك أن لا داعي لهذا التطويل وأن الشعب لا يفهم الكلمات، وأنها مضيعة للوقت، فلا ضرورة لها، ثم يدعوك إلى الاختصار. ولكننا بذلك نتغافل عن صوت النعمة وعمل الروح القدس. فكم من مرة استخدم الروح القدس كلمات صلوات والقراءات في الكنيسة لخلاص ألوف من الشعب! كل الصلوات والقراءات في الكنيسة هي من أقوال الله، فهي تعاليم حيّة. كذلك فيها تمجيد وتسبيح دائم وشكر وحمد لله، وفيها حثّ على محبة الآخرين وتحريض على التوبة بصلاة العشار: «ارحمني».

القديس يوحنا كرونشتادت

وهكذا كل من يفتح قلبه للصلاة في الكنيسة فانه يمتلئ معرفة وحياة. فلنَتْلُ اذًا صلواتنا وقراءاتنا في الكنيسة بكل تأنّ ووضوح، ولا نختصرْ شيئًا قط، وبذلك نعطي فرصة للروح القدس أن يستخدم الكلمات لإنذار قلوب السامعين.

عليك أن تلقي البذار وتتركها للرب فهو يُنميها حسب مسرته .

الأرثوذكسيّة (٣٧)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

نَزَلَ من السماء

إنَّ الجُملَة: «نَزَلَ منَ السماء» والمشمولة في قانون الإيمان النيقاوي جديرةٌ بالانتباه. إنّها لا تعني أنَّ يسوع حَطَّ وهبَطَ إلى الأرض من الفضاء الخارجي على نوعٍ من الأطباق الطائرة مثلاً، ولكنّها تُـذَكّرنا بالاتجاه الذي جاءنا منه الخلاص. إنه لم يبدأ أو يَنشأ بالإنسان، إنّه أتى من اللّه. وبكلمات أخرى، الإنسان لا يمكنه أن يُخَلِّص نفسه، وبقدر ما يحاول أن يعمل الإنسان هذا بنفسه، بقدر ما يصير مرتبكًا وضائعًا كما حدث له عندما بنى برج بابل. عندما يطرح الإنسان العصريّ إيمانه بالمخلِّص جانبًا، فإنّه يضطر أن يقضي ٢٤ ساعة يوميًّا مُحاولاً، بدون جدوى، أن يكون هو المُخَلِّص لنفسه.

إنّنا لا نستطيع أن نصعد إلى السماء لنرى ماذا يُشبه اللّه: «ليس أحدٌ صَعِدَ إلى السماء» (يو٣:١٣)، ومع أنه لا يمكن لأحد من هنا أن يذهب إلى هناك، فإنَّ واحداً من هناك يمكنه أن يأتي إلينا، وقد فَعَلَ ذلك.

عندما يأتي يومًا ما، يكون فيه هناك بائعون كثيرون للخلاص المُزَيَّف، الذين يقولون لنا إنَّه يُمكن أن نَخلُص ونبلُغ العلوّ من خلال علم النّفس والاقتصاد وعلم الاجتماع والعقاقير والأقراص والفَلَك والسياسة والعَمَل الاجتماعي والتعليم، فإنَّ قانون الإيمان النيقاوي يظَلّ مُرشدًا كمنارة مُشيرًا لنا إلى طريق الخلاص الحقيقيّ، والذي هو ليس حركة من الإنسان إلى اللّه، بل من اللّه إلى الإنسان. لا يوجَد إلاَّ مُخَلِّص واحدٌ الذي «نَزَلَ منَ السَماء».

أولئك الذين لا يَترُك لهم دينهُم مكانًا لمُخَلِّص، ويَـدَّعون أن إيمانهم بسيطٌ للغاية، وهو يتكوَّن من أن يكونوا شفوقين على أُسَرهم، ويعيشون بالقاعدة الذهبيّة (عامل النّاس كما تُحب أن يُعامَلوك). ويسلكون كمواطنين لطفاء. إنَّ الواحد منَّا يَميل دائمًا ليسأل مثل هؤلاء الناس، ماذا يعمل لهم دينهم عندما يتحقَّقون أنّهم لم يكونوا شفوقين على أُسَرهم، ولم يعيشوا بحسب القاعدة الذهبيّة ، ولم يكونوا أيّ شيء إلاّ مواطنين لطفاء. إنَّ ديانة بلا مُخَلِّص ليست ديانة على الإطلاق.

الخلاص في الكنيسة الأولى:

أبصرَ القدّيس بطرس يومًا ما مُقْعَدًا خارج الهيكل يستعطي وقت الصلاة، فقال له: «ليس لي ذهبٌ ولا فضَّة ، ولكن الذي لي فإيَّاه أُعطيك، باسم يسوع قُم وامش، وأمسَكَهُ بيده اليمنى وأقامَهُ، ففي الحال تشدَّدت رِجلاه وكَعباه، فَوَثَبَ ووقَفَ وصارَ يمشي ودخَل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويطفر ويُسَبِّح اللّه » (أع ٣: ٦–٨)، بعد ذلك قَبَضَت السُّلطات الدينيّة على بطرس وسألته: «بأيَّة قوَّة وبأي اسم صنعتَ هذا؟» فأجاب بطرس: «باسم يسوع الناصري»، ثم أضاف بجرأة: «وليسَ بأحد غيره الخلاص، لأنَّ ليسَ اسمٌ آخَرَ تحت السماء قد أُعطيَ بينَ النّاس به ينبغي أن نَخلُص». لا يوجد لَقَبٌ ليُعطَى ليسوع أثمن من لقب «المخلِّص» ، وما صَنَعه المخلِّص لآخرين يمكنه أن يعمله معنا. إنّه يأتينا في يأسنا، ويُنقذنا من الخطايا التي تُمسكنا عن أن ننال إمكانياتنا الكاملة كأولاد للّه وتَرفعنا إلى السماء. إنَّ الخلاص يبدأ في اليوم الذي فيه نواجه المسيح ونُسَلِّم حياتنا له كَرَبٍّ، ويَستمرّ هذا الخلاص عندما نعيش جميع أيّام حياتنا في الإيمان بالمسيح، كأعضاء حيَّة في كنيسته، وينتهي في اليوم الذي نَصعَد مع المسيح مِن قَبْرِ الموت إلى حياة اللّه غير المائتة.

الخلاص اليوم:

نُشرت قصّة عن سكّيرٍ مُدمنٍ على لمخدّرات، ومن شدّة الهلوسة والانفعال نُقلَ إلى مَصَحَّة حَيث اضطرُّوا إلى تقييده هناك.

وذات يوم وبينما هو في هياجه، اكتَشَفَ أنَّه لا يمكن لأَحَد أن يُنقذه إلاَّ اللّه، فَصَرَخَ: «يا اللّه لا يمكن لأحد أن يُساعدني، فهل تُساعدني أنتَ ؟ » ثمَّ استدعَى المُرافق له ليحلّه من قيوده لأنّه يُريد أن يذهب إلى الكنيسة، فتردَّد المُرافق.

ولكن المريض استمرَّ في الصراخ: «فُكَّني، لا يمكن لأحد أن يُساعدني، اللّه سوفَ يساعدني، لابدّ أن أذهب إلى الكنيسة».

حَلَّهُ المُرافق، وأخَذَ المريض يسقط عدَّة مرَّات وهو يترَنَّح في طريقه إلى الكَنيسة، أمَّا الأطباء والممرِّضات فَتَرَكوه ليستمرّ في السير. وفي النهاية وَصَلَ إلى الكنيسة ووقع وهو يترنَّح أمام الهيكل.

سأله القسُّ: «ماذا تُريدُ يا ابني ؟»

فأجاب: «أريدُ المخلِّص، لا يمكن لأحد أن يساعدني إلاَّ المخَلّص».

وعند الهيكل شُفيَ هذا الرَّجُل من الخمر ومن المخدِّرات، وقد ثَبتَ أنَّ هذا الشفاء كان نهائيًّا: «فستَلد ابنًا وتدعو اسمه يسوع لأنّه يُخَلِّص شعبه من خطاياهم» (مت١:٢١).

عندما سُئلَ السيِّد جيمس سيمبسون الذي اكتشف الكلوروفوم «ماذا تظنّ أن يكون أعظم اكتشافاتك؟» وكان السّائل يتوقَّع أن تكون الإجابة «الكلوروفورم». لكن سيمبسون أجاب: «أعظم اكتشاف كان عندما اكتشفتُ أن يسوع هو إلهي».

إنّنا نُؤمن بيسوع: «الذي لنا فيه الفداء بدمه، غفران الخطايا حسب غنَى نعمته» (أف ١:٧). إنّنا نُؤمن بيسوع: «الذي من أجلنا نحن البَشر ومن أجل خلاصنا نَزَلَ من السماء».

من أقوال وسِيَر الآباء القديسين

كلمة منفعة

من اختبارات القديسين:

«إنَّ اللّه رَسَمَ هذا التدبير، أنَّ الذي يُصلِح الإنسان، إنسانٌ مثله».

✚ «كانَ شيخٌ قدّيس، إذا قامَ بخدمة القدّاس، يَرَى ملاكَيْن واقفَيْن، واحدًا عن يمينه، والآخر عن يساره، هذا كانَ قد أخَذَ نسخَة القدّاس من واحد من ذوي البدَع في الإيمان. وإذ كانَ ساذجًا لا يعرفُ تفاصيلَ المعتقدات الإلَهيّة في تقديسه للقرابين، وذلكَ عن سذاجة، فقد كان يقولُ ممّا في النُّسخَة، ولا يعلم أنه يَغلَط. وبتدبير مِن اللّه، زارَه شمّاسٌ، راهبٌ، عالِمٌ، فلما خَدَمَ الشيخُ القدّاسَ بحضرته، قال له الرّاهب الشمّاس: «**هذا ليس قولَ أصحاب الإيمان القويم**». وإذ كان الشيخُ يُبصر الملائكة في قُدّاسه، فإنّه لم يلتفت إلى قول الشمّاس.

أمّا الشمّاسُ، فإنّه لَبِثَ يقول له: «غلطتَ يا أبي، والكنيسة الأرثوذكسيّة لا تقبَلُ هذا القول». ولمّا رآه الشيخ لا يكفُّ عن توبيخه، التفتَ إلى الملاكين، وقال لهما: «ما معنى قول الشمّاس» ؟ فقالا له: «اقبَلْ منه، فقد قال لك الصّواب».

فقال لهما الشيخُ: «وانتما، ما بالكما لم تقولا لي»، فقالا للشيخ: «**إنَّ اللّه رَسَمَ هذا التدبير، أنَّ الذي يُصلِحُ الإنسانَ، إنسانٌ مثله**» . فاستقام رأى الشيخ من ذلك اليوم، وشكَرَ اللّه، والشمّاس.

* إنَّ التفريق بين القول بالإيمان الأرثوذكسي القويم الرأي وبين القول المنحرف عن هذا الإيمان، لا يَحكُم فيه إلاَّ العلماء المتمرِّسون في العلم اللاهوتي الأرثوذكسي، كما يقول الرسول يعقوب أخي الربّ: « لا تكونوا معلِّمين كثيرينَ يا إخوتي ... لأنّنا في أشياءَ كثيرة نَعثُرُ جميعُنا» (يع ٣:١). فلا يمنع الخطأ من المخطىء بالإيمانَ القويم من أن يرى ويعاين الملائكةَ كما حدث مع الشيخ سابقًا.

من كلام ونَصائح الآبـــاء:

✚ **« من كلام القديس أثناسيوس الكبير:**

سؤال: «**كيف يصنع الهراطقة آيات كثيرةً**» ؟

الجواب: "سبيلُنا ألاَّ نستغرب ذلك، لأنّنا قد سمعنا الربّ قائلاً: «إنَّ كثيرين يقولون لي في ذلك اليوم: يا ربُّ يا ربُّ، أليسَ باسمك تَنبَّأنا، وأخرجنا شياطين، وصنعنا قوات كثيرة ؟ فأقول لهم: إنّي لا أعرفكم قط، انصرفوا عنّي يا فاعلي الإثم» (مت٧: ٢٢-٢٣). فعلَى أكثر الحالات يتسبَّب الشفاءُ بإيمان المتقدِّم للشفاء وليس بسيرة المُدَّعي فعْلُ الآيات، لأنّه مكتوبٌ: «إنّ إيمانك خلَّصَك». فليس في الأرثوذكسيّة فعل آيات فقط ، بل وقومٌ أردياءُ الاعتقاد، مرارًا كثيرةً تقشّفوا وقدَّموا للّه أتعابًا، فأخذوا أجرهم في هذا العالم منْحَةً من الله، كشفاء الأمراض لكيما يسمعوا ذلك في العالَم العتيد: «إنّكَ قد استوفيتَ خيراتك في حياتك» (مت ٦:١٦).

✚ **من سيرةالأب القديس باخوميوس أب رهبنة الشَركة:**

لما سَمِعَ بسيرة **الأب باخوميوس** قومٌ من رهبان هراطقة، أرسَلوا إليه جماعةً لابسين شَعْرًا وقالوا للإخوة: «إنَّ كبيرنا مقدونيوس **(كان بطريرك القسطنطينيّة في أواخرَ القرن الرابع الذي أنكَرَ أزليّة الرّوح القدس وأنّـه أقنومٌ، وقد انعَقَد المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م في القسطنطينيّة، وأدانَهُ وعَزَلَهُ من البطريركيّة)** قد أرسلنا إلى أبيكم قائلاً: «إنْ كنتَ رجلَ اللّه حقًا وما سمعناه عنكَ صحيحًا، فتعالَ لنَعبُرَ أنا وأنتَ النّهر ماشيَيْن بأرجلنا على سطح الماء، فيعرف كلُّ واحدٍ عمليًا مَنْ منَّا له دالّـة ووجاهةٌ عند اللّه».

فَعَرَّفَ الأخوةُ **الأب باخوميوس** بذلك، فأنكَرَ عليهم ذلك قائلاً: «لماذا أَجزْتُم أصلاً سَماعَ هذا الكـلام ؟ أمـا عَلِمْتُم أنَّ هذه المسائل بعيدةٌ عن اللّه، ولا تقبلها سيرتُنا ؟ لأنّه أيّ ناموسٍ يأمر بهذا ويدفعنا على القيام به » ؟

فقال الأخوةُ: «أيتجاسَر هيراطيقي بعيدٌ عن اللّه أن يستدعيكَ لمثل هذا» ؟

فأجابهم: « قد يمكن للهيراطيقي أن يَعبُر على ظهر النهر كعبوره على أرضٍ يابسة بمعاونة الشيطان ، وبسماحٍ من اللّه،

الملاك يطلب من القديس باخوميوس بناء ديراً للشركة

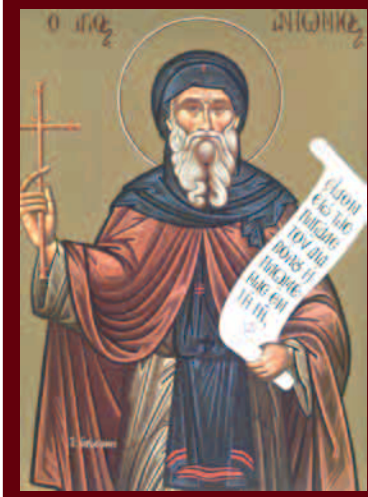

القديس أنطونيوس الكبير

ظَهَرَ الملاك للقديس باخوميوس الكبير، وطلبَ منه أن يُقيم ديرًا في منطقة تاپانيس (جنوب قصر الصياد) في مصرَ. وأعطاه لوحًا به البنود الأساسيّة لنظام الشركة، وقد جاءت سهلةٌ للغاية، يستطيع أن يمارسها كثيرون. أخبر القديس باخوميوس معلّمه الأنبا بَلامون بما حدث، ففَرِحَ الأبُ جداً وبارك هذا العمل الروحي العظيم.

حتى لا ينفكَّ كُفْرُهُ. فامضوا وقولوا لهم: هكذا قال عبدُ اللّه باخوميوس: «إنَّ حرصي أنا هو هذا: ليسَ لكي أعبُرَ هذا النهر ماشيًا، بل كيف أعبُرُ دينونَةَ اللّه الرهيبة، وأن أعبُرَ كذلك ذلكَ النهر النّاري الجاري قُدَّام السيّد المسيح عند مجيئه المخوف يوم الدينونة الرهيبة، وأن أعبُرَ أيضًا هذه الأعمال الشيطانيّة بقوّة الربّ». ولمّا قال هذا الكلام، أقنَعَ الأخوة بأن لا يفتخروا بأعمالهم، ولا يشتهوا صُنْع الآيات، ولا يُجَرِّبوا اللّه البتَّة على رأيّ القائل: «لا تجرّب الربَّ إلهَك».

+وقال القديس الأنبا أنطونيوس الكبير أبو الرهبان:

رأيتُ رهبانًا كثيرين، قد وقعوا في دهشة عقل، وذلك بعد تعب كثير، والسبب في ذلك، هو أنّهم توكّلوا على معرفتهم وحدهم، ولم يصغوا إلى الوصيّة القائلة: «اسأل أباك فيُخبرك، ومشايخك فيقولوا لك» (تثنية ٣٢:٧).

* ودفعةً جاءَ شيخٌ كبيرٌ في زيارة للأنبا أنطونيوس في البريّة، وهو راكبٌ حمارَ وحش، فلما رآه الشيخ قال: «هذا سَفَرٌ عظيم ، ولكني لستُ أعلم إن كانَ يصلُ إلى النهاية أم لا» !

* وقيلَ إنَّ شيوخًا كانوا قاصدين الذهاب إلى أنبا أنطونيوس ، فَضَلُّوا الطريق، وإذ انقطع رجاؤهم، جلسوا في الطريق من شدّة التعب، وإذا بشاب يَخْرُجُ إليهم من عمق البريّة ، واتفق وقتئذ أن كانت هناك حميرُ وحش تَرعى، فأشار الشّابُّ بيده، فأقبلت نحوه، فأمرها قائلاً: «احملوا هؤلاء إلى حيث يقيم أنطونيوس». فأطاعت حميرُ الوحش أمْرَهُ.فلما وَصَلوا أخبروا أنطونيوس بكلِّ ما كان، أما هو فقال لهم: «هذا الراهبُ يُشبه مركبًا مملوءاً من كلِّ خير، لكنّي لستُ أعلم إن كان يصلُ إلى الميناء أم لا» !

وبعد زمان ابتدأ الأنبا أنطونيوس الشيخُ يبكي وينتف شَعرَهُ فجأة. فقالَ له تلاميذُه: «ماذا حدث أيّها الأب» ؟ قال لهم الشيخُ: «عمودٌ عظيمٌ للكنيسة قد سَقَط في هذه الساعة، أعني الشّاب الذي أطاعته حميرُ الوحش». وأرسَل الشيخُ تلاميذه إليه، فوجدوه جالسًا على الحصير يبكي. فلما رأى تلاميذ أنطونيوس، قال لهم: «قولوا للشيخ أن يطلب إلى اللّه كي يمهلني عشرة أيّام لعلّي أتوب». وقَبْلَ أن يتمّ خمسةَ أيّامٍ توفي. **(عن بستان الرّهبان)**

هل العبقرية هبة إلهية

سؤالٌ عالميّ الآن: هل العبقريّة هبة إلهيّة ؟

من المؤكّد أنّ هناك عبقريات كبرى لا نعرف كيف ظهرت ولا لماذا ؟ ولا نعرف متى يمكن أن تظهر، وإنما تظلّ الإنسانيّة تنتظر ظهور هذه الموهبة. وحتى عندما تظهر الموهبة، فإنّ التاريخ يروي لنا كثيرًا أنّ الموهبة لم تَلْقَ التشجيع الذي تستحقه وإنمل لقيت الإضطهاد.

فهل نظلّ في هذا الموقف السلبي أو نلتقي بالموهبة في نصف الطريق ؟ أما منتصف الطريق فهو أن نبدأ من الطفولة في رياض الأطفال والمدارس .. فإذا ظهرت الموهبة قُمنا بسرعة بفرزها وعزلها عن بقيّة الأطفال والحفاوة الشديدة بها لأنّها طرازٌ مُختلف من الأشجار والثمار .. ولا يصح أن نُضَيّع وقتنا مع الأطفال الذين لا موهبة لهم !

إنّ التاريخ يؤكّد لنا عبقريات كثيرة كان نموّها متأخرًا جدًا.

فالعالم نيوتن، وهو أعظم عقل خَلقه اللّه، قد يَئِسَ منه أبوه وأمّه. ودفعا به إلى المدرسة بعد أن فَشِلَ في إدارة المزرعة !

والمخترع الأمريكي إديسون ، الذي باع الصحف في محطّات القطار، كان نموذجًا للبلادة الذهنيّة ولكن احدًا لم يُدرك دلالة حُبّ الإستطلاع الشديد عنده.

ولابدّ أنّ المُدَرّس الذي قال للطفل الصغير البليد **داروين**: أنتَ عارٌ على أسرتك، قد نَدِمَ كثيرًا على ذلك.

إنّ القليل يمكن أن نصنعه للعبقريّة الإلهيّة ، ولكن الكثير هو الذي يجب أن نقدّمه للبراعة الإنسانيّة .!

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثانية عشرة في العماد

« ... تجسَّدَ وصارَ إنسانًا »

« ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلاً، اطلب لنفسك آية من عند الرب إلهك. فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية: ها إن العذراء تحبل وتلد ابنًا يدعى عمانوئيل »

اشعياء ٧

١ ـ المسيح ألـه وإنسان معًا :

يا رفاقَ الطُّهر وتلاميذ العَفاف ، لننشد بشفاه مُلؤها الطّهر المولودَ من العذراء. ونحنُ الذين أُهِّلْنا للإشتراك في جسَد الحَمَل الروحيّ، لنشترك في الرأس والقدمين (خر١٢:٩): يعني الرأسُ الألوهيّة والقدمان الطبيعة البشريّة التي اتّخذها. ونحن الذين نسمع الأناجيل، لنَثق بيوحنّا اللاهوتي، لأنه قال: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كانَ لدى اللّه، والكلمة هو اللّه» (يو١:١). ويضيف: «والكلمة صارَ بَشَرًا» (يو١:١٤). يجب ألاّ نعبد فيه الإنسان فقط. وألاّ نقول إنه إله بدون الطبيعة البشريّة ؛ لأنّ في ذلك كُفرًا. لأنه اذا كان المسيح إلهًا، وهو في الواقع إله، واذا لم يأخذ الطبيعة البشريّة، فإنّ الخلاص لم يتمّ بعدُ لنا. يجب أن نعبده كإله، وأن نؤمن بأنه صارَ إنسانًا. لا فائدة لنا من القول بأنه إنسان بدون الألوهيّة. كما أنه لا خلاص لنا اذا فصلنا الطبيعة البشريّة عن الألوهيّة. علينا أن نعترف بحضور الملك والطبيب. لأنّ المسيح الملك، لأجل شفائنا قد التَفّ بالطبيعة البشريّة، كما لو كانت كَفَنًا (مر١٥:٤٦)، وشَفَى جروحنا. صارَ المعلّم الكامل طفلاً بين الأطفال ليُعَلِّم السِّنَّ التمييز (أمثال ١:٤)، ونزل الخبزُ السّماوي على الأرض ليُشبِعَ الجياع (يو٦:٣٣-٣٥).

٢ ـ اليهود يخطئون بعدم اعترافهم بالمسيح :

رَفَضَ أبناء اليهود ذاك الذي جاء، وهم ينتظرون زورًا مخلِّصًا سيأتي. لقد رَفَضَ هؤلاء الضّالون المسيحَ الحقّ، وها هُم يَقْبَلُونَ دَجّالاً. وبذلك تتحقّق كلمة المخلِّص: «جئتُ باسم أبي فلم تقبلوني، ولو جاءكم غيري باسم نفسه قبلتموه» (يو٥:٤٣). منَ الأنسَب أن نُلقي على اليهود هذا السؤال: هل كان أشعياء النبيّ صادقًا أم كاذبًا، عندما قال: إنّ عمانوئيل سيولَد من عذراء ؛ (أشعيا ٧:١٤). ولا عجب اذا اعتبروه كاذبًا، لأنّ من عادتهم، ليس فقط أن يعتبروا الأنبياء كَذَبة، بل يرجمونهم. ولكن اذا قالوا إنه صادق، فليُرشدونا الى عمانوئيل! كيف سيولد ذاك الذي سيأتي، وانتم تنتظرونه ؟ هل من العذراء أم لا ؟ لأنّه لم يولد من العذراء، فأنتم تكذّبون النبيّ. ولكن اذا كنتم تتوقّعون هذا في الذي سيأتي، فلماذا ترفضون الذي جاء فعلاً ؟

٣ ـ مغالطات الهراطقة في التّجسّد :

فليظلّ اليهود في ضلالهم ما داموا يريدون ذلك، ولتتمجّد الكنيسة. لأنّنا نحنُ نَقبَل أن نؤمن بأنّ اللّه الكلمة صارَ بَشَرًا حقًّا، لا بمشيئة الرَّجُل والمرأة، كما يقول الهراطقة، ولكن الكلمة صارَ إنسانًا من العذراء ومن الرّوح القدس، ـ بحسب الإنجيل ـ لا في الظاهر بل في الواقع. وبما أنه تجسّد حقًا من العذراء، فانتظر الآن وقت التعليم لكي تحصل على البراهين. لأنّ الهراطقة ذهبوا في ضلالهم شتّى الطُّرق: فيقول البعض إنّ العذراء لم تَلده أبدًا. ويقول البعض الآخر إنه وُلِدَ، لا من العذراء، بل من جماع رَجُل مع إمرأة. ومنهم مَن يقول إنّ المسيح ليس إلهًا متجسّدًا، بل إنسانًا متألهًا. وتجرأ غيرهم على القول بأنه ليس الكلمة الأزليّ الذي تجسّد، بل هو رجلٌ عاديّ، استطاع بقدرته ان ينال الإكليل.

٤ ـ المعارضات في ميلاد المسيح العذري :

ولكن تذكّر ما قيل بالأمس عن ألوهيّته. وآمنْ بأنّ ابن اللّه الوحيد ذاته هو الذي وُلِدَ فيما بعد من العذراء. ثق بيوحنا الإنجيليّ الذي يقول: «والكلمة صار بَشَرًا فسكَنَ بيننا» (يو ١ : ١٤). الكلمة الأزلي المولود من الآب قبل كلّ الدهور، تجسّد في الزمن لأجلنا. على أنّ كثيرًا من المناقضين يقولون: ما هو السبب العظيم الذي يستوجب أن يتنازل اللّه إلى حدّ أن يصير إنسانًا ؟ أصحيح إنّ الطبيعة الإلهيّة بأكملها نزَلَت وسكنت بين البَشر ؟ (باروك ٣:٣٨). وبما أنّ الاعتراضات كثيرة، فيجب مكافحتها بعدّة طُرق. فاصبر، سوفَ نقضي على كُلٍّ منها بنعمة المسيح وصلوات الحاضرين هنا.

٥ ـ اسباب التجسّد :

علينا، قبل كُلِّ شيء، أن نبحث عن السبب الذي لأجله نَزَل المسيح على الأرض. لا تهتم كثيراً باستدلالي الذي يمكن مناقضته بسهولة. ولكن لا تؤمن بما يُقال لَكَ إن لم تُعْطَ لكَ شهادة الأنبياء لكلّ حالة من الحالات. إن لم تتعلّم من الكتب المقدّسة ما يخصّ العذراء، ومكان الميلاد وزمانه وطريقته، فلا تَقبَل شهادة إنسان (يو٥:٣٤). لأنّه يجوز الشكّ في الشخص الذي يعلّم هنا، ولكن كيف يشكّ رجلٌ عاقل في الذي تنبأ منذ ألف سنة وأكثر ؟ فاذا كنتَ تبحث عن سبب مجيء المسيح، فالجأ الى السِّفر الأوّل من الكُتب المقدّسة. في ستّة أيام خَلَقَ اللّه العالم، ولكن العالم خُلِقَ لأجل الإنسان. تسطع الشمس بأشعتها الوضّاءة، ولكنها خُلِقَت لإنارة الإنسان، وخُلِقَت جميع الحيوانات لخدمتنا؛ خُلِقَت جميعُ الأعشاب والأشجار لمسَرّتنا. وكلّ ما صُنع كان حسنًا (تك١:٣١). ولكن لم يُخلَق شيء من كلّ ذلك على صورة اللّه ، ما عدا الإنسان. خُلِقَت الشمس بأمر فقَط، لكن الإنسان صُنِعَ بيديّ اللّه: «لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا» (تك١:٢٦). اذا كُنّا نُكَرِّم صورة الملك المنحوتة على قطعة خشب. فكم بالحريّ صورة اللّه الروحيّة ! ولكن آية الخليقة هذه كانت في الفردوس، طردها منه حسدُ الشيطان (حكمة ٢:٢٤) ، وابتهج العدوّ بسقوط الذي كان يحسده. هل تريد أن يبقى العدوّ فَرِحًا ؟ ولمّا لم يجسر العدوّ على الاقتراب من الرَّجُل لأنّه كان قويًّا، ذَهَبَ الى المرأة لكونها أضعَف ، وكانت لا تزال عذراء، لأنّ آدم لم يعرف امرأته حوّاء إلاّ بعد خروجه من الفردوس (تك ٤:١) .

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧٩)

أبيّا (أبيام) (٩١٤-٩١٢ ق.م.)

وخَلَفَ أباه رحبعام على العرش ويُطلَق عليه أبيّا أو أبيام (١مل ١٥:١-٨ ، ٢أخ١٣)، وكان حاكماً سيئاً وملكًا شرّيرًا. أكْثَرَ من الزوجات ودخل في صراع طويل مع يربعام ملك إسرائيل، ولم يستمرّ حكمه سوى ثلاث سنوات فقط.

آسّا (٩١٢-٨٧١ ق.م.) (٢أخ١٤-١٦، ١مل١٥:٩-١٥)

خَلَفَ آسا أباه أبيّا على العرش، وكان ملكًا صالحًا إختلَف عن سابقَيْه، فكان قلبه كاملاً أمام الرّب، كُلّ أيام حكمه نزع الأصنام وأزال الشرّ من مملكته، فارتفعت المملكة وازدهرت وازدادت قوّة، وإن كان زارح الكوشي عَكَّرَ سلام المملكة وغزا يهوذا، ويُرَجَّح أنّ زارح هو أحد قوّاد فرعون أو سركون الأوّل (٩٢٤-٨٩٥ق.م.) الأسرة ٢٢ وقاد زارَح جيشًا قوامه مليون مقاتل وسار آسا إلى المعركة غير المتكافئة، لكنه تشدّد بصلاة حارّة رفعها أمام اللّه فانتَصَرَ انتصارًا حاسمًا، وَخَلَّدَ هذا النصر باحتفال عظيم جدّد فيه العهد القوميّ مع اللّه، وأكمَلَ حياته في مخافة الرّب، لكن في النصف الأخير من حياته وقد خانته شجاعته، وفي لحظات ضعف حينما تعرّض لمضايقة من بعشا ملك إسرائيل، إلتجأ إلى بنهدد ملك السوري لمحاربة مملكة إسرائيل، ممّا استوجَبَ توبيخ النبي حناني له، وبعد أن حَكَم آسا إحدى وأربعين سنة، مات ليخلفه إبنه يهوشافاط.

يهوشافاط:
(٨٧١-٨٤٨ ق.م.) (١مل٢٢:٤١-٥٠)، (٢أخ ١٧-٢٠)

حكَم يهوشافاط بالبرّ والاستقامة ٢٢ سنة واستمرّ في سياسة أبيه الإصلاحيّة، فأزال الأصنام وعاد بالشعب إلى عبادة اللّه ، واهتَمَّ بالإصلاح الديني، فاستأنف إصلاحات أبيه وهيّأ في المملكة نظامًا تعليميًا دينيًا مُنَظَّمًا، ومن جهة أخرى أعاد تنظيم القضاء وشَيَّدَ الحصون والمدن والمخازن، وإذا ألقينا نظرة عامة حتى هذا الوقت، فإنّ حُكْمَ آسا ويهوشافاط كان قويًا وكانت المملكة مزدهرة؛ فقد استعادت يهوذا قوّتها وَثَبَّتَت سُلطانها على أدوم واستعادت ما كانت قد خَسرَته في الحرب مع شيشق. لكن الخطأ العظيم الذي سَقَطَ فيه يهوشافاط وصارَ علامة سوداء في تاريخه أنه تَصاهَرَ مع أخاب ملك إسرائيل فتزوّج يهورام ابن يهوشافاط من عثليا إبنة أخاب وإيزابيل (أخاب ملك إسرائيل)، وصار يهوشافاط حليفًا لأخاب، واشترك مع يهورام ابن أخاب في حربٍ ضدّ ميشع ملك موآب.

الفترة الثانية (٨٤٨-٦٩٩ ق.م.)

استمرّت مئة سنة حَكَمَ فيها تسعة ملوك هم: **يهورام وأخازيا (وعثليا) ويواش وأمصيا وعزيّا ويوثام وأحاز وحزقيا.**

يهورام:
(٨٤٨-٨٤١ ق.م.) (١مل٢٢:٥٠، ٢مل٨:١٦-٢٤، ٢أخ٢١).

استمرّ حُكم يهورام ثماني سنوات وكان يهورام قد تزوّج من عثليا إبنة أخاب وإيزابيل وأثمر هذا الزواج نتائج مريرة في مملكة يهوذا، إذ جلَبت عثليا معها عبادة البعل، بما تحمله من روح التوحّش والفجور، وبدا وكأنّ إصلاحات آسا ويهوشافاط قد مُحيَت تمامًا بطريقة هادئة، فتسلّلت العبادة الوثنيّة إلى الشعب، وهَبَّت عواصف الاضطرابات من جهة الجنوب الشرقي فتشدّدت أدوم وقامت بثورات أثناء حُكم يهورام (راجع يهورام ملك إسرائيل)، وأيضًا أتت متاعب من لبنة في الجنوب الغربي على حدود البلاد ممّا أصاب المملكة بالشلل.

أخازيا:(٨٤١ق.م.) (٢مل٨:٢٥-٢٩، ٢أخ٢٢).

خلَفَ أخازيا أباه يهورام ليملك على عرش يهوذا، وكان ملكًا شريرًا فاسدًا، حَكَمَ سنة واحدة ومات ميتة شنيعة أنزلها به ياهو فيما أنزَلَ ببيت أخاب من الخراب، لكن تمكّنت عثليا أمّه من الهَرب لتغتصب لنفسها العرش.

عثليا:(٨٤٠-٨٣٥ق.م.) (٢مل١١، ٢أخ٢٢:١٠، ٢٣:١٥).

استولَت عثليا على الحُكم بعد موت ابنها أخزيا وحينما تَوَّجَت نفسها ملكة على يهوذا فَتَكَت بكلّ النّسل الملكي، وحَكَمت المملكة كمغتصبة للعرش سبع سنوات وهي الفترة الوحيدة في تاريخ يهوذا التي لم يَحكُم فيها ملكٌ من نَسل يهوذا، ويبدو أنّ الملكة الغريبة لم يكن يشغلها رفعَة المملكة بقدر ما كان يُسيْطِرُ عليها التربّع على العَرش، وكانت عثليا أسوأ ممّا كانت إيزابيل أمّها في إسرائيل، فنشرت العبادة الوثنيّة والسجود للبعل، وبعد أنْ كان بيت داود عظيمًا تقلَّص إلى طفلٍ صغير هاربٍ نجا من بطش المَلِكَة الوثنية هو يوآش.

«ولكن اطلبوا أولاً ملكوت اللّه وبرّه وهذه كُلّها تُزاد لكم»
(متّى ٦:٣٣)

يا طالِبَ الرّزقِ في الآفاقِ مجتهدًا ... أبقَيْتَ نفسَكَ حتّى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسعَى لِرزقٍ كفاكَ اللّه مُؤنَتَهُ ... أقصِر فَرِزْقُكَ لا يَأتي بِهِ الطَّلَبُ
فَاسْتَرزِقِ اللّـهَ مِـمّا في خَزائِنِه ... فاللّهُ يَـرزقُ لا عقـلٌ ولا حَسَبُ

حادثة تلامس شغاف القلوب

قصة من واقع الحياة

دخل طبيبٌ المستشفى في عَجَلَة من أمره بعد أن استدعوه ليحضر على عَجَل لإجراء جراحة دقيقة.

ولَبّى الطبيب الدعوة في أسرع وقت ممكن ، وقام بتغيير ملابسه، وذهب مباشرة إلى قسم الجراحة.

وحينئذ وجَدَ والد طفل يتمشّى بعصبيّة في القاعة في انتظار الطبيب. وعند رؤيته الطبيبَ مُقبلاً، صاحَ بصوتٍ عالٍ في وجهه:

ـ «لماذا أخذْتَ كُلَّ هذا الوقت لتحضر ؟ ألا تعرف أنَّ حياة ابني في خَطَر ؟ ألا يوجَد عندك أيّ إحساس بالمسؤوليّة ؟ »

ابتسم الطبيب وقال:

ـ «أنا آسف، لم أكُن في المستشفى وقت استدعائي، وقد جئتُ بأسرع ما يمكنني بعد تَلَقّي المكالمة. والآن، أتمنى أن تهدأ حتى أستطيع أن أقوم بعملي».

أجابه الأب بغضب:

ـ أهدأ ؟! ماذا لوّ كانَ ابنكَ في هذه الغرفة في الوقت الرّاهن، فهل كنتَ تهدأ ؟ ماذا لو كان ابنكَ قد ماتَ الآن، فماذا كنتَ ستَفعل ؟».

ابتسَم الطبيب مرّة أخرى وأجاب:

ـ « سأقول ما قاله الربّ في سفر التكوين: «أنّك تراب وإلى التراب تعود» (تك ٣:١٩)، وما قاله أيّوب الصدّيق: «عريانًا خرجتُ من بطن أمّي، وعريانًا أعود إلى هناك. الربّ أعطَى والربّ أخذ، فليكن اسم الربّ مُباركًا» (أيوب١:٢١). الأطباء لا يمكنهم إطالة حياة الناس. إذهَب وتَشفَّع لابنكَ ونحن سوف نبذل قُصارى جُهدنا بنعمة اللّه».

غَمغَمَ الأب مُدَمدمًا:

ـ «ما أسهل جدًا إعطاء نصائح نحنُ في غِنَى عنها».

ودخَل الطبيب غرفة العمليّات، وبدأ في إجراء العملية الجراحيّة للطفل، وقد استغرقت العمليّة بضع ساعات، خرجَ بعدها الطبيب سعيدًا بنجاحها.

وقال الطبيب عند لقائه بوالد الطفل:

ـ شكرًا للّه! لقد تَمَّت العمليّة الجراحية لابنك بنجاح، وهو في طريقه الى التعافي! ».

ودون انتظار ردٍّ من والد الطفل، أسرَع الطبيب في طريقه منصرفًا ولكنه أضافَ:

ـ «إذا حدَثَ وكان لديك أيّ استفسارٍ، فاطلُب من الممرّضة»! وانصَرفَ.

وبعد دقائق من مغادرة الطبيب، وعند رؤية الأب الممرّضة علَّـقَ قائلاً :

«لماذا هو متكبِّرٌ جدًا هكذا ؟ ألا كان يُمكنه أن ينتظر بضع دقائق حتى يتسنَّى لي أن أطمئن على حالة ابني ؟».

أجابت الممرّضة، والدموع تغرورق في عينيها وتسيل على وجنتيها:

ـ «لقد ماتَ ابنه أمس في حادث سيرٍ في الطريق، وعندما اتصلنا به كان في طريقه الى الجنازة فلمٍ يحضرها، وذلك لكي يأتي من أجل إجراء العمليّة الجراحيّة لابنك. والآن وبعد أن أنقَذَ حياة ابنكَ، انصَرَفَ مُسرعًا ليكون حاضرًا لحظة دَفن ابنه» !!

* * * * *

«ليَكُن كُلّ إنسان مُسرعًا في الاستماع، مُبطئًا في التكلُّم ، مُبطئًا في الغَضب، لأن غضب الإنسان لا يصنع بِرَّ اللّه» (يع١ : ١٩ – ٢٠).

«لا تُسرع بروحك إلى الغضب، لأنّ الغضب يستقرُّ في حضن الجهال» (جا ٧:٩).

«كثرة الكلام لا تخلو من معصية ؛ أمّا الضابط شَفَتيه فعَاقِلٌ» (أم١٠:١٩).

«بطيء الغضب كثيرُ الفهم، وقصير الروح مُعَلِّي الحَمَق» (أم ١٤:٢٩).

«الرَّجل الغضوب يُهَيِّج الخصومة ؛ وبطيء الغضب يُسَكِّن الخِصام» (أم١٥:١٨).

«البطيءُ الغضب خيرٌ من الجبَّار ؛ ومالك روحه خَيرٌ ممَّن يأخذ مدينةً» (أم١٦:٣٢).

«ببطء الغضب يُقنَع الرئيس ؛ واللسان اللَّيِّن يَكْسِر العَظم» (أم٢٥:١٥).